تاريخ القدس

المعروف

بتاريخ أورشليم

تأليف

خليل سركيس

طبعة منقحة وجديدة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعد :

اليهـــود مشـــكلة كل العصور ، والتاريخ ملئ بالعديد والعديد من المشاكل على مر أحقاب الزمان ، وأيضاً القدس أصبحت نقطة الصراعات بين العـــرب واليهـــود فكل طرف يقول أنها ملكه منذ خلق البشر، والعجيب أن اليهـــود قد حرفوا وزورا فى التاريخ القديم بحجة ترجمتهم للتوارة والإنجيل ، وللأسف الآن يصدقون بعض الأمم والشعوب كلام اليهود.

فـــلهذا حرصت مكتبة الثقافة الدينية على تقديم عملاً جديداً يستحق القـــراءة والـــرد عليه وهو كتاب «تاريخ القدس الشريف » المعـــروف بـــتاريخ أورشليم للمؤلف خليل بن خطار سركيس ، صحافى مولده فى عبية (بلبـــنـــان) ســـنة ١٢٥٨ هـــ / ١٨٤٢ م ووفـــاته ببيروت سنة ١٣٣٣ هـــ / ١٩١٥م ، أصدر جريدة « لسان الحال » يومية فى بيروت،

مــدة ٣٨ عاماً . وله كتب ومصنفات منها « العــادات » و « سلاسل القــراءة »ستة أجزاء ، و « رحلة الآستانة وأوروبا وأمريكا » و « أستاذ الطــباخين » وروايــات، والكتاب الذى بين أيدينا ، وعنى بإصلاح الطباعة وتجميلها فكان أول من صنع « أمهات » الحروف الفارسى .

فالكتاب «تاريخ القدس الشريف» يلقى الضوء على تاريخ اليهود منذ الوجود حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهناك بعض الإسرائيليات فى هذا الكــتاب لنقل المؤلف بعض النصوص من كتب المستشرقين الأجانب اليهود ومع ذلك فالكتاب فى غاية الأهمية حيث يتناول بعض فترات اليهود وموقف الحكــام منهم بطريقة تاريخية هامة ، وهناك نقطة هامة وهى اختلاف المصادر والمراجع فى أسماء ملوك اليهود على مر التاريخ . وقد تم طبع هذا الكتاب أول مــرة ســنة ١٨٧٤ م ببيروت ، وأتمنى من الله أن ينال هذا العمل رضاء الله والمسلمين والله خير معين .

الناشـــر

١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

تمهيد

لمـــا كـــان كثيرون يرغبون فى الوقوف على حقائق تاريخ مدينة القدس الشريف لما لها من عظم الأهمية الدينية والتاريخية ولم يكن لها تاريخٌ خاصٌ بها بين الكتب العربية أخذت منذ مدة فى بذل مدة الجد فى جمع تاريخ لها يتضمن كل ما جرى فيها منذ أقدم عهد عرفت فيه إلى الآن وبعونه تعالى قد تيسر لى ذلك فجاء طبق المرام وقد أسندت كل كلامى إلى أقوال معمول على صحتها مـــأخوذة مـــن الكتب الدينية والكتب التاريخية المتضمنة شيئاً من أخبار هذه المديـــنة الشـــهيرة التى كانت مدة طويلة من الأعصر القديمة أعظم مدينة فى العـــــــــــالم.

هـــذا ولمـــا تم تأليفى هذا نقلاً عن أصح المؤلفات بهذا الشأن أخذت فى مراجعته ومقابلته على التآليف التى نقلتهُ عنها حذراً من الخطأ وأعتنيت بذلك إعتـــناء تاماً راجياً أن يكون كتاباً مفيداً نافعاً لأبناء الوطن ولغيرهم من الذين يحبون أن يطالعوا التواريخ الشرقية وعلى الخصوص تـــاريخ هذه المدينة التى

أكتسبت فى البلاد الأورربية أعظم أهمية فأخذ السياح والزوار

من كل قطر وناد يتهافتون إليها ليتحققوا حوادثها التاريخية

بواسطة آثارها الباقية وغيرها. وأرجو أصحاب

الخبرة والمعرفة أن يسبلوا ستر المعذرة

فجل من لا يغلط

والعصمة لله

مُقَدِّمَة

في مركز
أورشليم الجغرافي

أن هـــذه المدينة من أقدم مدن العالم على ما يظن غير أنهُ لا يعرف وقت تأسيســـها وأول ما ذكر عنها ملاقاة ملكيصادق ملكها لإبراهيم الخليل حين كان راجعاً من كسرة الملوك [1] وكانت تعرف وقتئذٍ بمدينة ساليم أى مدينة السلام فيكون أول مرة ذكرت فى التواريخ سنة ١٩١٣ قبل المسيح وذكرت ثانية فى المُريًّا سنة ١٨٧٣ قبل المسيح إذ أمر الله إبراهيم أن يقدم بنهُ ذبيحةً هـــناك ويُظَـــن ذلك على الصخرة التى أمست الآن داخل الحرم الشريف [2] وهذه المدينة مبنية على أربعة جبال وهى : صهيون . ومُريًّا . واكرا . وبزيثا .

---

(١) كَدَرْ لَعَومرَ ملك عيلام وتدعَال ملك جويم وأمر فال ملك شِنعار واربوك ملك الأسر. سفر التكوين ١٤ : ٩ .

(جويم) : كلمة عبرية معناها الحيوانات أى كل ممن غير اليهود .

(٢) وهى صخرة كبيرة فى جبل مُريًّا محيطها نحو أربعين ذراعاً وعلى ما يظن إن إبراهيم الخليل أعد الحطب عليها ليقدم أبنهُ إسحق ذبيحه لله وبعد أن نهاه الله عن ذلك قدم عليها ذبيحة كبشاً أرسلة الله له .

إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق والذبح فى مكة المكرمة .

ويحيط بها أودية غلاً من شمالها ومايليه إلى الغرب . فإلى الجنوب وادى ابن هينوم وإلى الشرق وادى قدرون وهو وادى يهو شافاط وهناك بستان الجسمانية وبقربه بركة سلوام وقرية يقال لها أيضاً سلوام . وفى شرقى المدينة جبل الزيتون الذى صعد منهُ السيد المسيح إلى السماء وقرية بيت عنيا وتسمى الآن العازرية وبها القبر الذى أقام منهُ السيد المسيح لعازر من الموت وفى جنوبها الغربى ببيت لحم وهى القرية التى ولد المسيح فيها وهى تبعد عنها ساعتين وإلى جنوبى القدس على بعد ٣٠ ميلاً الخليل وعن بعد ٣٣ ميلاً البحر و ١٨ ميلاً الأردن و٣٦ ميلاً السامرة ولا حاجة للتفصيل أكثر مما ذكر إذ أن فى ما مر تمهيداً كافياً .

الفصل الأول

يحتوى على مدة دخول إبراهيم الخليل
أورشليم ودخول الإسرائيليين إليها
تحت قيادة
يشوع بن نون إلى مُلْك داود

أن هذه المدينة كانت أولاً تحت حكم ملك ساليم كما ذكرنا فى المقدمة وذلك سنة ١٩١٣ قبل التاريخ المسيحى وعُرِف ذلك من دخول إبراهيم إليها سنة ١٨٧٣ ومن ثم لا نعرف شيئاً عنها إلى أن دخلها الإسرائيليون وذلك سنة ١٤٥١ قبل الميلاد وعُرف وقتئذ أنها مدينة لليبوسيين وهم قبيلة من قبائل الكنعانيين .

وإذ كانت هذه المدينة مختارة من الله لغايات معروفة وَعَدَ شعبهُ إسرائيل بها مع بقية أرض كنعان . فقَدِم إليها شعب إسرائيل الذى كان وقتئذٍ فى مصر تحت قيادة موسى النبى ولكن لتمرد الشعب على الله ومخالفتهم وصاياهُ غضب عليهم وأقسم أن لا يدخلها أحدٌ من جميع الذين خرجوا من

مصر وعددهم أكثر من ستمائة ألف رجل إلاَّ يشوع بن نون وكالب بن يفنَّة وذلك لأنهما وجدا أمنيين حين أرسلهما موسى النبى ليتجسَّسا أرض كنعان.

وسنة ١٤٥١ بينما كان شعب إسرائيل يتقدم فى أرض كنعان نحو أورشليم سمع أدونى صادق ملك أورشليم فخاف جداً وأرسل إلى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون وطلب معونتهم على ضرب جبعون لأنها صالحت يشوع بن نون قائد جيوش إسرائيل. فأجابوا طلبهُ وذهب خمسة ملوك الأمور بين فلما بلغ أهل جبعون ذلك طلبوا مساعدة يشوع . فأجاب طلبهم بأمر الله وأتى لمحاربة الملوك الخمسة بغتة فكسرهم كسرة عظيمة فأختبأوا فى مغارة فى مقيدة وإذ بلغ يشوع ذلك أمر بسد فم المغارة إلى حين وسار لمقاتلة جيوشهم فقتل منهم عدداً غفيراً ولم يبقِ منهم إلاَّ القليلين الذين التجأو إلى الحصون وحينئذٍ أمر يشوع بفتح المغارة وإخراج الملوك وأمر قواد حربهِ أن يدوسوا أعناقهم . ثم علقوهم على أخشاب إلى المساءِ ثم طرحوهم فى المغارة التى أختبأوا بها وسدوا بابها حجارة عظيمة وهكذا هلك ملك أورشليم .

ثم فى ١٤٤٤ ق.م تقدم بنود يهوذا وبنيامين (من شعب إسرائيل) وحاربوا أورشليم فأمتلكوا الجهة السفلى منها وسكنوا مع اليبوسيين ووضعوا الخيمة التى فيها تابوت العهد والمذبح والمنارة فى جبل المريا وتم ذلك بإرادة كالب بن يفنَّة الذى وكلهُ يشوع بن نون .

وسنة ١٤٣٥ ق.م صعد يهوذا قائد جيوش إسرائيل بعد يشوع لمحاربة الكنعانيين فضربوا أدونى بازق فى بازق مدينته وأخذوهُ أسيراً ثم قطعوا أباهم يديهِ ورجليهِ وكان هذا الملك قد فعل بسبعين ملكاً كما فُعِل بهِ فحصد ما زرع ثم مات فى أورشليم .

وفى تلك السنة حارب بنو يهوذا أورشليم ثانية فامتلكوها وضربوا سكانها بحد السيف وحرقوا المدينة بالنار . وإذ كانت هذه المدينة من قسم بنى بنيامين سكن هؤلاء مع اليبوسيين إلى أن طردهم داود النبى كما سيأتى .

وسنة ١٠٤٨ ق . م دخل إليها الملك داود النبى وطرد اليبوسيين الذين كانوا يسكنون صهيون وباشر بناءَ بيت لهُ بمساعدة حيرام ملك صور الذى أرسل لهُ خشب أرز وبنائين وجعلها عاصمة مملكتهِ عوضاً عن شكيم التى تدعى الآن نابلس وبقى ملكاً فيها ٣٣ سنة على إسرائيل ويهوذا وولد لهُ أولادٌ وهم شموع وشوباب وناتان وسليمان .

الفصــــل الثانى

يحتوي على مدة ملك داود وسليمان أبنهِ وكلما جرى لهما من الحوادث والحروب في أورشليم

ولمـــا خضعت تلك الأراضى لداود النبى أدخل إلى المدينة تابوت العهد الـــذى سار أمام بنى إسرائيل إلى أرض كنعان وذلك سنة ١٠٤٣ ق٠م ، [١] وفى هـــذه الســـنة :ضرب داود ملك أورشليم الفلسطينيين وكسرهم وإذلهم وضـــرب الموابيين أيضاً وحارب هدر عزر فأتى لنجدته أرام دمشق فكسرهما وشتت شملهما .

وفى ســـنة : ١٠٣٧ ق٠م مـــات ناحاش ملك بنى عمون وملك ابنهُ حـــانون عوضـــاً عنهُ فأرسل داود الملك رسلاً يعزونهُ فلما وصلوا قال عبيد حانون له : لا يغرَّنك داود فأنهُ لم يرسل رسلاً ليعزوك بل ليتجسسوا الأرض فحلق حانون حينئذٍ أنصاف لحاهم وشق ثيابهم من الوسط ثم أطلقهم ولما بلغ دواد ذلك غضب ونهض لقتال بنى عمون .

---

(١) ٣ صموئيـــل ٦ : ١٢ .

أمـــا بـــنو عمون فأستاجروا من يجاورهم من الأبطال وتقدموا لمحاربة إســـرائيل فالتقاهم الإسرائيليون تحت قيادة يواب ابن صرويا وأخيه ابيشاى فضرباهم وكسراهم ورجعا بجيوشهما إلى أورشليم .

وســـنة ١٠٣٦ ق٠م اجتمع العمونيون ثانيةً وانضموا إلى قبائل أخرى وتقدمـــوا لمحاربـــة إسرائيل فجمع داود الملك جنودهُ وضربهم فى عبر الأردن وكسرهم وقتل منهم سبعمائة مركبة [1] ، وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشهم فمات هناك .

وسنة ١٠٣٥ ق٠م أرسل داود الملك يواب قائد جيشه فحاصر ربّة بنى عمون وأخذها بعد حرب دامت نحو سنتين ورجعوا إلى أورشليم .

وســـنة ١٠٣٣ ق٠م جاهـــر ابشـــالوم بن داود بالعصيان على أبيهِ واسَرَقَ قلب الشعب ودخل بجيشهِ إلى أورشليم، أما داود ففر من وجههِ مع رجالهِ وعبر الأردن ثم رتب جيوشهُ وتقدم لمحاربة جيش ابشالوم فانتصر عليهِ وقُتِل من الفريقين ٣٠ ألفاً من جملتهم ابشالوم ورجع الملك إلى أورشليم .

وســـنة ١٠٣١ ق٠م حدثـــت حروب كثيرة بين داود والفلسطينيين وكان النصر بها لداود .

وســـنة ١٠١٧ قبل المسيح أمر داود النبى يواب أن يحصى عدد شعبه فطـــاف تســـعة أشهر وعشرين يوماً ورجع إلى أورشليم وكان عدد الشعب ثمانمائة ألف رجل من إسرائيل ومن يهوذا خمسمائة ألف فمات منهم عددٌ كثيرٌ وحينـــئذٍ أمر ملاك الرب جادَ النبى بأن يقول للملك داود أن يقيم مذبحاً فى

(١) ٣ صموائيل ١٠ : ١٨ .

بيدر أرنان اليبوسي فكان كذلك وبنى داود مذبحاً للرب وأصعد محرقات ودعا الرب فأستجاب لهُ وأرسل ناراً من السماء على مذلح المحرقة وصفح الله لداود وأمر ملاكهُ أن يكف عن القتل . فكان عدد من قتل من الشعب سبعين ألف رجل.

وسنة ١٠١٥ ق٠م توفى داود الملك وخلفهُ فى المُلك أبنهُ سليمان وكان ملكاً حكيماً فطناً ذا سطوة وثروة عظيمتين وهو الذى بنى هيكل أورشليم المشهور فأنفق عليه أموالاً جزيلة وأتى لهُ بخشب من لبنان بمساعدة حيرام ملك صور وزين الهيكل بالنقوش المغشّاة بالذهب وكانت قيمة الذهب فى أورشليم فى أيامهِ كالتراب وكان الأبتداء فى بنائهِ سنة ١٠١٣ ق٠م والانتهاءُ بنائهُ سنة ١٠٠٤ ق٠م وفى هذه المدة أدخل تابوت العهد إلى الهيكل.

وسنة ١٠١٤ تزوج سليمان الحكيم بابنه فرعون ملك مصر وتزوج بنساء كثيرات غيرها بلغ عددهنَّ ألف أمرأة وقد أجمع جميع المؤَرخين على أنهُ هو الذى بنى مدينتى بعلبك وتدمر وكانت مدة ملكهِ أربعين سنة .

وفى هذه المدة كانت صداقة جارية بين سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور الذى أرسل لهُ فعلة كثيرين حينما كان يبنى بيتهُ والهيكل .

وسنة ٩٩٣ قبل المسيح أتت ملكة سبأ على أورشليم بموكب عظيم وهدايا فاخرة وسرَّت بما شاهدت من حكمة سليمان وحسن إدارتهِ وقالت لهُ

أننى لم أسمع بنصف ما شاهدت فطوبى لرجالك ولعبيدك الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك وبعد أن أعطتهُ مائة وعشرين وزنه ذهب وأطباباً كثيرة وحجارة كريمة رجعت إلى أرضها .

وسنة ٩٨٠ ق٠م بينما كان يربعام بن ناباط خارجاً من أورشليم لاقاهُ النبى أخيا الشيلونى وقال لهُ أنهُ سيملك على أسباط إسرائيل خلاً سبطى يهوذا وبنيامين اللذين يبقيان لنسل سليمان فلما عرف سليمان بذلك طلب قتل بريعام ففر من أمامهِ إلى مصر والتجأ بشيشق ملكها ولم يرجع حتى مات سليمان .

الفصـــــل الثالث

حالة أورشليم

من ملك رحبعام إلى ملك حزقيا

وســـنة ٩٧١ ق٠م أتـــى شيشق ملك مصر إلى أورشليم وحاربها بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس وشعب عظيم وكان ملكها حينئذٍ رحبعام بن ســـليمان فأنتصر عليها وغلبها ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأموالاً كثيرة .

وفى تلك الأيام كانت حروبٌ طويلة بين ملك إسرائيل وملك أورشليم وكانت الغلبة سجالاً تارةً لهذا وطوراً لذلك .

أما بداية ملك رحبعام فكانت سنة ٩٧٥ قبل المسيح وكان عمرهُ حين مـــلك ٤١ ســـنة ومات سنة ٩٥٨ ق ٠ م وخلفهُ فى المُلك ابيام ابنهُ وملك ثلاث سنين فى أورشليم ولم يحسن السيرة وكانت كل أيامه حرباً مع بريعام .

وســـنة ٩٥٥ ق ٠ م بعد أن توفى ابيام ملك آسا على أورشليم ٤١ ســـنة وكان مستقيماً أمام آلههِ وأرسل فى مدة ملكهِ إلى بنهدد بن طبر يمون

مــلك دمشق وطلب إليهِ أن يعينهُ على محاربة ملك إسرائيل فأرسل فرساناً وضربوا لإسرائيل فأنهزم ملك إسرائيل أمام آسا .

وســنة ٩١٤ ق ٠ م توفى آسا وملك ابنهُ يهوشافاط عوضاً عنهُ وسنة ٨٩٣ ق ٠ م ملك يهورام على أورشليم .

وســنة ٨٨٥ ق ٠ م مــلك أخزيا وذهب مع يورام بن اخاب ملك إسرائيل لمقاتلة أرام وفى مدة حربهِ مع ارام صار مسح ياهوين يهوشافاط بن نمشــى ملكاً وهو الذى ضرب يورام فهرب إلى قرية مجدُّو ومات هناك فنقلهُ عبيدهُ إلى أورشليم ودفنوهُ فى قبر آبائهِ .

ولمــا مــلك ياهو قتل سبعين من أولاد اخاب واثنين وأربعين من أخوة أخزيا وقتل أيضاً أنبياءَ البعل .

وسنة ٨٤٤ ق ٠ م مات ياهوو ملك ابنهُ يهواحاز عوضاً عنهُ .

وســنة ٨٤٠ ق ٠ م قــبل الميلاد أتى حزائيل ملك أرام إلى أورشليم لــيحاربها فــأخذ يهــو آش جميع الية الذهب من الهيكل ومن بيتهِ وأعطاها لحزائيل.

ولما مات جزائيل وملك ابنهُ بنهدد قام يهواش وحاربهُ وأخذ كل القرى التى كان قد أخذها من إسرائيل فرجع عنهُ.

وفى هـــذه السـنة : إذ كـــان زكريا بن يهوياداع الكاهن يوبخ شعب إســرائيل عـــلى تركهم الله وعبادتهم الأصنام قام كل الشعب عليه ورجموهُ بالحجارة بأمريواش الملك فى دار الهيكل .

وســنة ٨٣٩ ق . م قام على بواش أثنان من عبيده وقتلاهُ وملك ابنهُ امصيا مكانهُ على يهوذا .

وســنة ٨٣٦ ق . م قـــام يواش ملك إسرائيل وحارب امصيا وأخذ المديـــنة وهدم أكثر سورها وأخذ ما وجد فى الهيكل من المال ولما تثبت ملكهُ قـــتل عبد يه اللذين قتلا أباهُ . وحدثت فتنة فى أورشليم فطلب الشعب قتل امصيا فهرب إلى لخيش فتبعوهُ إلى هناك وقتلوهُ .

وفى هـــذه السنة : بعد موته قام شعب يهوذ وأخذوا عزيًا ابنهُ وملكوهُ عـــليهم وهو ابن ست عشرة سنة وكان مستقيماً عادلاً كأبيه وفى مدة ملكه حارب الفلسطينيين وقهرهم وهدم سور جتّ وسور يبنة وسور أشدود وبنى مدنـــاً فى أرض أشـــدود وقهر العرب والمعونيين وبنى أبراجاً فى أورشليم وفى الـــبرية وحفـــر آباراً وكانت جيوش الحرب فى أيامه منظمة مع العِدَد الحربية الجيدة التى عملها .

وسنة ٧٦٥ ق . م إذ كان قد خان الههُ باصطناعه مذبحاً غريباً وتقديمه بخـــوراً عليه ضربهُ الله بالبرص ولم يزل أبرص إلى أن مات بعد أن ملك أثنين وخمسين سنة.

وفى سنة ٧٥٨ ق . م موته ملك يوثام ابنهُ وكان ملكاً شجاعاً مستقيماً وقـــد بنى مدناً فى جبل يهوذا وبنى فى الغابات قلعاً وأبراجاً وحارب العمونيين وغلبهم فأعطوهُ مائة وزنة من الفضة وعشرة آلاف كرقمح ومثلهُ من الشعير وذلك على مدة ثلاث سنوات . وكان من الأنبياءِ فى مدة ملكهِ وملك احاز وحـــزقيا (أى مـــن سنة ٧٥٩ ق.م إلى سنة ٧٠٠ ق.م) اشعيا النبى بن اموص وقد تنبأ نحو ٧٠ سنة .

وســـنة ٧٤٣ ق.م كان رصين ملك ارام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل ياتيان ويضايقان يهوذا .

وفيهـــا : مـــلك احـــاز بن يوثام وفى مدة ملكهِ أتى ملك ارام وملك إسرائيل وحاربا احاز ولم يقدرا عليهِ حينئذٍ أرسل بتذلل لتغلث فلا صر ملك أشور طالباً إليهِ أن يخلصهُ من ملك ارام وملك إسرائيل وأهداهُ الذهب الذى كان فى الهيكل وفى بيتهِ فسمع لهُ وأتى بجيش عظيم وأخذ دمشق وقتل ملكها ومات احاز سنة ٧٢٦ ق.م وملك حزقيا ابنهُ عوضاً عنهُ .

الفصـــــل الرابع

حالة أورشليم

فى مدة حروبها مع ملوك آشور وتسلطهم عليها

وسنة ٧٣٠ ق.م أتى شلمنا صرملك أشور وحارب إسرائيل وسباهم إلى أرضـــه وأتى ملك أشور بقوم من بابل واسكنهم فى مدن إسرائيل عوضاً عنهم فأغاظ ذلك آله إسرائيل فأرسل عليهم السباع فكانت تفترس منهم وإذ بـــلغ مـــلك آشور ذلك أرسل كاهناً من مسبى إسرائيل ليعلمهم شريعة الله فأرتدت السباع عنهم وهذا كان أصل السامريين .

أمـــا حـــزقيا بن احاز فحكم بالعدل وكان مستقيماً أمام آلهة وسحق الحية النحاسية [1] التى عملها موسى [2] لأن إسرائيل مال إلى عبادها .

وسنة ٧٣٣ ق.م صعد شلمنا صرّ ملك أشور على إسرائيل وحارهم إلى سنة ٧٣١ ق.م إذ أخذ الأرض وسبى شعبها ثانيةً .

---

(١) سفر الملوك الثانى ص ١٨ : ٤ .

(٢) سفر العدد ص ٣١ من عدد ٦ إلى ٩ .

وسـنة ٧١٣ ق٠م صـعد سـنحاريب ملك أشور على مدن يهوذا وأخذها فأرسل حزقيا يتذلل لملك أشور قائلاً لهُ أرجع عنى فأفعل كل ما تطلبهُ منى فطلب منهُ ٣٠٠ وزنة فضة و ٣٠ وزنة ذهب فألتزم لدفع ذلك أن يعطيهُ ذهب الهيكل وبيته وإذ لم يكفِ قشر الذهب عن أعمدة الهيكل وأبوابهِ .

وسنة ٧١٠ ق٠م أتى ملك أشور أورشليم وأرسل ثلاثة من قواده إلى الملك ليخاطبوهُ ولما قربوا إلى المدينة طلبوا حزقيا الملك فأرسل لهم ثلاثة من حشـمهِ فأهـان رسلُ ملك أشور رسلَ حزقيا بالكلام وبالتعبير لاله إسرائيل ومـلكهِ وشعبهِ فتذلل حزقيا أمام الههِ فأستجاب لهُ وأرسل ملاكهُ وضرب من الأشـوريين ٨٥ ألفاً فى الليل ولما أصبح الصباح ورأى ملك أشور ذلك ارتد راجيـاً إلى بـلاده مهـزوماً مقهوراً لالههِ قتلهُ ابناهُ وهربا إلى أرمينية وملك اسرحدون ابنهُ عوضاً عنهُ .

وأما حزقيا ملك أورشليم فكان ذا ثروة عظيمة وعمل لنفسهِ خزائن للفضـة والذهـب والحجـارة الكريمة والاطياب والاتراس ومخازن للحنطة والزبيب واوارى لكل أنوع البهايم وهو الذى سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجـراها تحت الأرض إلى أورشليم ولم يزل إلى الآن فى أورشليم بركة تدعى حزقيا .

ومـات سنة ٦٩٨ ق٠م وملك منسى ابنهُ مكانهُ ولم يكن مستقيماً كأبيهِ سنة ٦٤٣ ق ٠ م وملك آمون ابنهُ عوضاً عنهُ واتفق عبيدهُ على قتلوه

فقتـــلوهُ ومـــلك يوشيا ابنهُ عوضاً عنهُ وذلك سنة ٦٤١ ق٠م وكان يوشيا صالحاً ومستقيماً وهو الذى رمم هيكل أورشليم بعد أن كان قد تخرب بسبب حـــروب ملك أشور وأزال العبادة الباطلة من أورشليم ويهوذا وأباد السحرة والعرافين من بلاده وذبح كهنة المرتفعات وحرق عظامهم .

وســـنة ٦١٠ ق٠م صعد فرعون نخو ملك مصر لمحاربة أشور فصعد يوشيا لملاقاته إلى مجدُّ فلما رآهُ فرعون قال لهُ أرجع عنى ليس إليك جئت فلم يســـمع لهُ يوشـــيا فضربهُ بسهم فى الترقوة وقتلهُ فأرجعهُ عبيدهُ إلى أورشليم ودفـــنوهُ وملكوا يهواحاز ابنهُ عوضاً عنهُ . ثم أسرهُ فرعون نخو الذى قتل أباهُ وغرَّم الأرض بمائة وزنة فضة ووزنة ذهب وملَّك الياقيم بن يوشيا عوضاً عن أبيه الذى قتلهُ وغير أسمهُ إلى يهوياقيم .

الفصـــل الخامس

حالة أورشليم

فى مدة حروبها مع ملوك بابل ودخلوها

تحت سلطنهم وتسلط ملوك مادى وفارس عليها

وفى أيـــام يهوياقـــيم صعد نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم فتعبد لهُ يهوياقـــيم ثلاث سنين وكان ردئَ السيرة فمات وملك يهوياكين ابنهُ عوضاً عنهُ.

وســـنة ٥٩٩ ق٠م أرســـل نبوخذ ناصر ملك بابل قوماً إلى أورشليم فحاصـــروها ثم أتى بنفسهِ فخرج يهوياكين الملك وأمهُ وحشمهُ مسلّمين لملك بابل فسباهم وأخذهم إلى بابل مع جميع عظماءِ إسرائيل ولم يبقِ فى أورشليم إلاَّ المســـاكين والفقـــراءِ ثم أقام عليهم ملَكاً متنياعم يهوياكين الذى غير اسمهُ إلى صـــدقيا ورجع مع السبايا إلى أرضهِ وبقى صدقيا خاضعاً لهُ سنة ٥٩٣ ق٠م ومن ثمَّ عصى عليه إلى سنة ٥٩٠ ق٠م.

وفى هـــذه السنة : إذ كانت المدينة محصنة تحصيناً منيعاً أتى نبوخذ ناصر المـــلك وكل جيشهِ لمحاربتها وبنى أبراجاً حولها وشدد عليها الحصار فدام إلى سنة ٥٨٨ ق٠م وحينئذٍ إذا اشتد الجوع فى المدينة ثغر الملك ورجال الحرب

ليــلاً سورها وطلبوا النجاة فطلبهم الكلدانيون وأدركوا الملك فى برية اريحا وأخــذوهُ إلى مــلك بابل المقيم فى ربلة فقتلوا بنيهِ أمامهُ وقلعوا عينيه وقيدوهُ بالسلاسل وأخذوهُ إلى بابل.

ثم دخل رئيس جيوش ملك بابل إلى أورشليم وحرق الهيكل وكل المدينة وهــدم أســوارها وســبى شعبها وأخذ كل مايؤخذ إلى بابل من الذهب إلى النحاس .

وســنة ٥٣٦ قبل الميلاد عند تملك كورش [1] مملكة فارس مع داريوس المادى خالهِ أمر شعب إسرائيل أن يرجعوا إلى أرض كنعان ويبنوا الهيكل الذى كــان قد هدمهُ جيش نبوخذ ناصر ملك بابل وأرجع أنية الذهب التى سلبها نــبوخذ ناصر فرجع نحو ٥٠ ألفاً تحت قيادة زرُّبابل بن شألتيئيل الذى ولاّهُ ملك بابل على يهوذا وشرعوا فى بناءِ السور والهيكل سنة ٥٣٥ قبل الميلاد.

ولمــا كــانوا يشــتغلون صدَّ ثم سنبلط وسكان البلاد من الأمم الذين اسكنهم نبوخذ ناصر الملك أرض إسرائيل وكتبوا إلى ارتحشستا الملك فى سنة ٥٣٣ ق٠م يخبرونهُ أن اليهود الذين صعدوا من عندك قد أتو أورشليم وبنوا أســوارها وهيكلها وعن قريب يعصون أوامرك فأرسل ارتحشستا إلى ولاتهِ فى أرض إســرائيل يأمرهم أن يصدُّوا اليهود عن العمل ولما أخبروهم بأمر الملك

---

(١) وهــو الذى أخضع مملكة بابل كلها مع سورية وفلسطين إلى ملوك الفرس بعد أن قتل بلشاصَّر حفيد نبوخذ ناصر الذى خرب أورشليم وسبى شعبها.

أجـــابوا أنـــنا لم نبيهِ إلا بأمر كورش ملك فارس وهو أعطانا الأنية التى سباها نبوخذ ناصر وقد أمر أن تعطى النفقة من خزينته فأخبر الولاة بذلك داريوس المــلك الذى قد تولى مملكة الفرس بعد أرتحشستا فأمر أن يراجع كتاب أخبار المــلوك لعلهُ يرى صحة ذلك فوجد كما قال شعب اليهود وحينئذٍ أمر ببناءِ أورشـــليم وبأن تعطى النفقة من جزية عبر النهر [1] وذلك سنة ٥١٩ ق٠م وأصدر ملك بابل أمراً بأن كل من يقاوم بناءَ هيكل أورشليم توخذ خشبة من بيـــتهِ ويُصـــلَب عـــليها ويكون بيتهُ مزبلة وهكذا كان يبنى هيكل أورشليم وأسوارها .

وفى هذه السنة : إذ كان العمل سائراً بنجاح كلى وكان قد سمع سنبلط وطوبيا والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت غضبوا وعزموا على أن يأتوا ويحاربوها فلما سمع شعب إسرائيل ذلك خافوا واستعدوا للدفاع فكـــان نصفهم يشتغل والنصف الآخر يحمل السلاح للمدافعة وإذ علموا أن شعب أورشليم عرف بذلك عدلوا عن عزمهم وهكذا تم تدشين الهيكل الثانى ســـنة ٥١٥ ق٠م فمر عليهم أكثر من عشرين سنة قبل ترميم الهيكل ومائة ســـنة قـــبل تنميم السور وقد أنقرضت ملوك يهوذا الذين كان مقر حكمهم أورشليم وعددهم تسعة عشر ملكاً أولهم رحبعام بن سليمان وأخرهم صدقيا بـــن يوشـــيا وقد سبى الفرس أورشليم ثلاث مرار من يد ملوك مملكة يهوذا

---

[1] أى من السامريين وهم سكان أرض إسرائيل الغرباء الذين أتى بهم ملك أشور من بابل وأسكنهم عوض شعب إسرائيل حينما سبوا إلى بابل كما تقدم .

الذيـــن اســـتقام ملكهم ٣٨٧ سنة بعد انفصالها عن بقية إسرائيل [١] وكان انقراضها سنة ٥٨٨ ق.م .

وسنة ٤٥٧ ق.م صدر أمر من ارتحشستا ملك فارس إلى عزرا الكاهن أن يرجع من بابل إلى اورشليم هو وكل من أراد الرجوع من المسبيين وفوض عزرا بأن يقيم ولاة وقضاة حسب معرفته والهام ألهه .

فـــرجع عـــزرا مـــع من رجع معهُ وعند وصولهم إلى أورشليم باشر فى إصـــلاح حال الإسرائيليين بمساعدة شكنيا بن يحيئيل وقطعا عهداً مع ألهم بأن يطلقا النسا اللواتى أتخذوها لأنفسهم من غير شعب إسرائيل وهكذا أخرجوا كل النساءِ الغريبات مع الأولاد الذين ولدوا منهنَّ وارجعا الشعب إلى الله .

وسنة ٤٤٥ ق.م أتى نحميا بن حكليا بأمر ارتحشستا ملك فارس وتولى عـــلى أورشليم وشرع فى بناءِ أسوارها التى كانت لم تزل بعد مهدومة . وبعد وفاتـــه لم يعين ملك فارس والياً مخصوصاً على أورشليم لأن اليهودية صارت بعـــد ذلـــك جزءاً من ولاية الشام فكان الحبر العظيم يمارس الأمور السياسية والدينية معاً من قبل والى الشام وبقى ذلك إلى أن دخلت أورشليم ومايليها فى طاعة الملك إسكندر المكدونى.

---

(١) كان الأثنا عشر سبطاً خاضعين للملك إسرائيل الذى كان كرسيهُ فى أورشليم وبقى ذلك إلى أن أغاظوا الله بعبادتهم الألهة الغريبة فانقسمت مملكة إسرائيل إلى قسمين كما قال الـــنبى أخيا الشيلونى وقد ملك على سبطى يهوذا وبنيامين رحبعام بن سليمان وعلى العشرة الأسباط الباقية ملك بريعام بن نباط وبذلك حدث هذا الأنقسام، راجع سفر الملوك الأول الأصحاح الحادى عشر .

الفصـــــل السادس

حالة أورشليم

فى مدة تسلط إسكندر الكبير عليها

وسنة ٣٣٢ ق٠م أتى اسكندر المكدونى [1] قاصداً آسيا لمحاربة الفرس

(١) هو إسكندر بن فيلبس المكدونى وأمهُ أولمبيا وهو الملقب بالكبير عند الأفرنج وبذى القرنين عند العرب ولد فى بلاّ سنة ٣٥٦ ق٠م ، ولما بلغ سن ١٦ سنة حكم البلاد بمدة غياب أبيهِ الذى كان يحاصر بيزانسا وملك على مكدونية وهو ابن عشرين سنة، وقد تعلم عن أبيــه وعن أرسطوطاليس وكان محباً لمطالعة كتب الحماسة وقد قال لبعض ندمائهِ وقتاّما وهو متنفس الصعداء أن أبى تغلب على جميع البلدان ولم يبق لى ما أتغلب عليه وبعد موت أبيــهِ ألقى الرعب فى قلوب الجميع وكان كريماً وقد بذل ما عندهُ من الأموال على كبار عسكرهُ وإذ سألهُ أحدهم قائلاً أى شيء ابقيت لك أجاب الرجاء ولما قدم لفتح آسيا أتى باهــبة شــهر واحد واثقاً بقوتهِ وسعدهِ وعند فتحه الحرب مع داريوس قدمانوس ذهب بنفســـه بهيــئةَ رسول من إسكندر ونجا من الهلاك بعد أن حافهُ الخطر ثم تغلب عليه ففر داريـــوس ملتجــئاً إلى مـــا وراء نهر الفرات ووقعت أمرأتهُ وابنتاه وأمهُ فى يد اسكندر فاكرمهنَّ إكراماً لائقاً بهنَّ وحاصر مدينة صور التى كانت قسمين أحدهما فى البر والآخر فى البحر وكانت على جانب عظيم من المتانة فبعد جهاد عظيم أخذ الجانب الذى فى البر وبقى عليهِ الجزيرة التى تبعد عن البر نصف ميل فأمر جنوده أن ينقلوا كل الردم والآثار ليصـــل الـــبر فى البر فكان كما أمر وأخذ المدينة بعد حصار سبعة أشهر وسلمها للنهب والحرق وقتل نحو ثمانين ألفاً من أهلها وباع نحو ثلاثين ألف أسير وبعد أن أخذ صور توجه نحو أورشليم وجرى لهُ مع يدوع الحبر ما سيذكر فى محلهِ ثم استفتح غزة وقتل من أهلها=

الفصـــــل السابع

حالة أورشليم
بعد موت إسكندر وتسلط
ملوك الدولة السلوفية عليها وتسلط
الدولة البطليموسية أحياناً عليها

وسنة ٣٣٣ ق.م توفى إسكندر وإذا لم يكن لهُ ولد راشد ليملك بعدهُ وقعـت مملكتهُ بأيدى قواده فكانت سورية كباقى ولاياته هدفاً لسهام أولئك القواد الذين أحدثوا حروباً كثيرة ودامت إلى سنة ٣٠١ ق.م كما سيأتى.

وسنة ٣٣٣ ق.م مات يدوع الحبر وخلفهُ حنينا الأول .

وسنة ٣٣٠ ق.م تغلب بطليموس بن لاجوس ملك مصر على اليهودية وأسر نحو مائة ألف نفس من اليهود وساقهم إلى مصر وبقيت اليهودية خاضعة لهُ إلى سنة ٣١٤ ق.م إذ أخذها انتيغونوس أحد قواد إسكندر لنفسه.

وسـنة ٣١٢ ق.م تغـلب بطلـيموس المذكـور على ديمتريوس بن أنتيغونوس بقرب غزة فخضعت لهُ أورشليم مع اليهودية.

وكـــان انتغونوس المذكور مجتهداً بتعظيم سطوته فى آسيا وإذ رأى بقية القـــواد ذلك اضطربوا وخافوا من إزدياد سطوته فنهضوا لمحاربته فأنتصر على جميعهم وذلك سنة ٣٠٧ ق٠م وأخذ قبل الجميع لقب ملك .

وســـنة ٣٠١ ق٠م حدثت بينهم وبين أنتيغونوس وابنهِ ديمتريوس وقعة مهولـــة فى أفسس من آسيا الصغرى فدارت الدائرة على انتيغونوس وولدهُ ديمـــتريوس وقتل أنتيغونوس فيها فأقتسم إذ ذاك قواد إسكندر مملكتهُ إلى أربع ممـــالك[١] وكـــانت أورشليم تحت حكم سلوقس أحدهم الذى لقب بالغالب لانتصارهِ فى ٢٣ معركة ومنهُ سميت الدولة السلوقية . وقد أحسن هذا القائد التصرف مع اليهود وغيرهم وكان يكرم هيكل الإسرائيليين بالهدايا سنوياً وفى مـــدة مـــلكهِ ذهـــب إليهِ قوم من اليهود الأشقياء وقالوا لـــهُ أن فى هيكل أورشليم من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ما لا يقدَّر ولا يليق وضعهُ إلاَّ فى بيوت الملوك وكانوا يرغبونهُ فى إحضار ذلك إلى بيتهِ وسهلوا لهُ أخذ ذلك فاســـتمالوهُ إلى رأيهم وأرسل أروزوس رجلاً من أكابر رجالهِ وأمرهُ أن يأتيهُ بكـــل مـــا فى الهيكـــل من المال والجواهر فذهب حسبما أُمِر ولما وصل إلى أورشليم وعرف اليهود سبب حضورهِ خافوا واضطربوا ولا قاهُ حنينا الكاهن وشـــيوخ اليهود وأخبروه أنهُ لا يوجد شيءٌ مما يطلبهُ فلم يصغِ لهم وفى غد اليوم الثانى تقدم ليستولى على ما فى الهيكل فلما دخلهُ سمع صوتاً هائلاً فأنتزع

---

(١) مـــن جملة قواد إسكندر أربعة قواد وهم بطليموس لاجوس . وكساندر وليسيماخوس وسلوقس . فبعد واقعة أفسس أقتسموا مملكتهُ كساندر على مكدونية وبلاد اليونان . وتمـــلك ليسيماخوس تراقيا وبثينية وبعض أقسام آسيا الصغرى . وتملك سلوقس بقية آسيا من البحر الأسود إلى حدود النيل وسميت مملكة سورية .

عن سرجهِ وسقط إلى الأرض مغشياً عليهِ وإذ شاهد أصحابهُ ذلك أخذوه إلى منزلهِ وبقى أياماً لا يأكل ولا يتكلم فأخذهُ أصحابهُ إلى حنينا الكاهن وطلبوا إليــهِ أن يطلب من الله بأن يعافيهُ ويصفح عنهُ ففعل الكاهن وعوفى أروزوس فقــدم حينئذٍ هدايا إلى حنينا الكاهن ورجع من أورشليم إلى مكدونية فأخبر المـلك ســلوقس بذلك فندم على أصدار هذا الأمر وعاد إلى إكرام هيكل أورشليم بالهدايا .

وســنة ٢٩٣ ق٠م توفى سمعان الكاهن العظيم الملقب بالعادل وهو أخر من بقى من المحفل العظيم الذى رسمهُ عزر الكاهن لإصلاح حال اليهود.

وســنة ٢٨٠ ق٠م إذ كــان بطلــيموس فيلادلفــوس بن بطليموس فيلادلفوس بن بطليموس لاجوس ملك مصر باذلاً الجهد فى جمع مكتبة حاوية جميع أجناس الكتب الموجودة وكان قد بلغهُ وجود التوراة فى مدينة أورشليم بالــلغة العبرانية أرسل إلى العازر الكاهن يطلب إليهِ أن يرسل لهُ سبعين شيخاً مــن عــلماء اليهود ليترجموا التوراة من اللغة العبرانية إلى اليونانية لتوضع فى مكتبتهِ ولمنفعة اليهود سكان مصر فلما ترجمت قوبلت فظهر أنها مطابقة بعضها للــبعض الآخــر وسميت بالسبعينية . فسر الملك بذلك ووهب أموالاً كثيرة للعازر ورفقائهِ وأمر بأن تعمل مائدة ويُصوَّر عليها أرض مصر والنيل وكيفية مسيرهِ ليسقى الأرض ورُصِّعت المائدة بالجواهر وقدمها هدية لهيكل أورشليم وأطــلق مــن كان اسيراً من اليهود فى مصر ورد الاوانى الذهبية التى أغنمها بطليموس لاجوس إلى هيكل أورشليم .

وبعد موتهِ خلفهُ بطليموس الثالث الملقب بالكريم وكان أبتداءُ ملكهِ سنة ٢٤٦ ق . م وأثــار حروباً كثيرة على التيوخوس سيوس ملك سورية وبعد موتهِ ملك بطليموس الرابع المسمى فيلوباتراى محب أبيهِ تهكماً لانهُ اتهم بقتلهِ وذلك سنة ٢٢٢ ق . م وقد أثار اضطهاداً على اليهود فى مملكتهِ .

وسنة ٢١٨ ق.م حدث حرب عظيمة بين انتيوحوس الكبير ملك سورية وبطليموس فيلوباتر وبقيت إلى سنة ٢١٧ ق . م فى هذه السنة أغرى وزراءُ مصـــر الملك بطليموس ليقود الجنود بنفسهِ إلى الحرب فسار بجيش مولف من ســبعين ألفــاً من المشاة وخمسين ألفاً من الفرسان وثلاثة وسبعين فيلاً قاصداً مهاجـــمــة انتيوخوس الذى التقاهُ تحت أسوار مدينة رافيا (بين عريش مصر وغزة) باثنين وسبعين ألفاً من المشاة وستة الاف من الفرسان ومائة وأثنين من الفيـــلة وبعد واقعة مهولة انتصر انتيوخوس على بطليموس فى الجهة التى كان مســتلماً قيــادة عساكرها بنفسهِ وقد انكسرت عساكرهُ فى الجهة الاخرى وطلــبت الفــرار بدون أن يشعر انتيوخوس الذى لما رأى مع جنودهِ الظافرة انكســار بقيــة الجنود ولوا مدبرين فانتصر بطليموس مع جنودهِ وأخذ رافيا ومــدن سواحل بر الشام وفلسطين وطرابلس ودمشق بعد أن كانت فى قبضة انتيوخوس قبل ذلك ببرهة وجيزة وحينئذٍ عُقدت هدنة سنة واحدة . وسميت هذه الواقعة واقعة رافيا وقد نتج منها تعذيب اليهود وقتلهم وسبب ذلك أن بطليموس كان قد التمس من الحبر العظيم الدخول إلى بيت المقدس فمنعهُ من ذلك فحقد على جميع اليهود وأمر باستئصال يهود الإسكندرية وكتب لجميع عمالهِ أن يقتدوا بهِ فى قتلهم واهلاكهم وأمر بان تدوس الأفيال كثيرين منهم.

وسنة ٢٠٤ ق٠م مات بطليموس المذكور وتولى بعدهُ الملك بطليموس ابيفانوس وسنة ٢٠٢ ق٠م تغلب انتيوخوس الكبير على فينيقية واليهودية .

وســـنة ١٩٨ ق٠م اســـترجع سكوباس أحد قواد بطليموس ابيفانوس اليهوديـــة مـــن انتيوخوس الكبير وسنة ١٩٧ ق٠م تغلب انتيوخوس على سكوباس وأخضع البلاد لسطوته .

وســـنة ١٩٢ ق٠م أعطـــى انـــتيوخوس الكبير ابنتهُ كليوباتره زوجة لبطليموس ابيفانوس ملك مصر وأعطاها فينيقية وسوريا نظير مهرٍ .

وســـنة ١٨٩ ق٠م جـــرت حروبٌ كثيرة بين انتيوخوس والرومانيين وكـــان النصـــر للرومان فأخذوا جانباً من مملكتهِ ولم يبقَ لـــهُ سوى سورية واليهودية.

وســـنة ١٧٥ ق٠م بعـــد موت بطليموس المذكور تغلب انتيوخوس[1] ابيفـــانـــوس عـــلى مصر وغيرها من الممالك وأضاف ذلك إلى ملكهِ وسنة ١٧٣ ق٠م أتى أورشليم فأستقبلهُ أهلها بكرامة عظيمة . وكان عاتياً متجبراً فعل أصناماً على صورتهِ وأرسلها إلى كل مملكتهِ وأمر بعبادتها والسجود لها أما

(١) وهو من سلالة ملوك مملكة سورية اليونانية وسنذكر جميعهم فى جدول الملوك فى آخر هذا الكتاب ولم نذكر جميعهم هنا لعدم اهمية ما أجروه فى أورشليم وكانت سورية تارةً خاضعة لهم وأخرى لملوك مصر وهكذا كانت مقر النزاع بين الدولتين .

اليهـــود فأمتنعوا عن عبادة الأصنام وقد قال يوسيفوس أنهُ فى ذلك الحين أى ســـنة ١٧٠ ق.م ظهر فى الجو صورة فرسان من نار على خيول نارية يقاتل بعضـــها البعض الأخر ورئى ذلك فى أورشليم أربعين يوماً وكان قد شاع خبر مـــوت انتيوخوس كذباً فبلغ ذلك ياسون أحد الكهنة المعزولين منهُ فعزم على أن يسترد الكهنوت لنفسهِ ودخل أورشليم بألف مقاتل فَقَتل من كان يظن أنهُ عـــدو لهُ . وكـــان وقتـــئذٍ ثلاثـــة من الكهنة الأشرار وهم ميالس وشمعون والقـــيموس فتحزب لهؤلاءِ رهط من أهل الشر ومضوا إلى الملك أنتيوخوس ووشـــوا لهُ باليهود وقالوا لهُ أنهم يبغضونهُ ويعصون أوامرهُ ولا يطيعونهُ وأنهم رأوا ركباناً من نار فى السماءِ تدل على موتهِ وأخبروهُ عن كل ما عمل ياسون بعد أن ظن أنهُ مات وإن اليهود فرحوا بموته وذلك ليهيجوا الملك انتيوخوس عـــلى الأنتقام من الأورشليميين ليمتلكوا غايتهم هلاكم فأنقاد الملك لرأيهم وصـــدق كلما قالوا وسار إلى أورشليم بعسكر عظيم فوصل إلى المدينة بدون أن يشعر اليهود بهِ فقتل أربعين ألفاً من أهلها وباع أربعين ألفاً وسلب ما كان فى الهيكـــل وهـــرب من بقى فى المدينة إلى البرارىِ والقفار مختبئين فى المغاير والأوجـــار . ثم ولىّ على اليهود رجلاً من قوادهِ اسمهُ فيلكس وأمرهُ أن يطلب إلى اليهـــود أن يسجدوا لأصنامهِ وأن يأكلوا لحم الخنزير ويمتنعوا عن الختان وحفظ السبت فكان كل من لايقبل يقتل فقُتل جمعٌ كثيرٌ وأكرم الذين أطاعوا أوامرهُ وكان أكثرهم إطاعة الكهنة الثلاثة ورهطهم المذكورين آنفاً فتسلطوا عـــلى أخوتهم الذين لم يطيعوا الملك بعبادة الأصنام وعظم شرهم . وفى ذلك الوقـــت بـــلغ فيلكس أن امرأةً ختنت ولدين لها سراً فأمر أن يعلقا فى ثدييها وترمَى هما من مكان مرتفع قصار كما أمر وماتوا جميعاً .

وسنة ١٦٧ ق ٠ م وشى قوم من أولئك الأشقياء بالعازر الكاهن الذى كـان مقـدام مـترجمى الترجمة السبعينية فأحضرهُ فيلكس وأمرهُ أن يسجد للأصـنام وان يـأكل من ذبائحه فلم يقبل وأخيراً أماتهُ معذباً. ووشى أيضاً بـالأخوة السبعة المعروفين بأولاد أشمونية فلما احضرهم فيلكس أرسلهم إلى أنتيوخوس فأمرهم أن يعبدوا الأصنام وإذا لم يقبلوا قتلهم معذّبين أشر العذاب الواحد بعد الآخر وكان ذلك أمام عينى والدهم التى كانت تشجعهم وتثبتهم فى إيمـانهم وأخـيراً فى ذلك الوقت ماتت أمهم أيضاً ثم أرتحل انتيوخوس من أورشـليم بعـد أن حرض فيلكس على الثبات فى أهلاك كل من لا يسجد لأصنامه فأكثر من قتل اليهود وكان ذلك واسطة لأهلاك جمع كثير .

وسنة ١٦٦ ق ٠م قام رئيساً على اليهود رجل جبار من المكابيين وهو متثيا بن يوحانان الكاهن فإذا بلغهُ رجوع انتيوخوس إلى رومية وكان فاراً مع من فرَّ إلى الجبال أرسل ابنهُ يهوذا سراً إلى أورشليم ليجمع كل أقوياء القلب ليحاربوا وينقذوا اليهود من ظلم اليونانيين فقويت قلوب اليهودية . وإذا بلغ فيلكس وقوادهُ ذلك جمع جيشاً لقتال متثيا ولما قربوا من المحل المقصود بلغهم أن قومـاً دخـلوا إلى مغارة هناك وإذ لم يخرجوا أمر فيلكس الملك أن يوضع حطـبٌ فى بـاب المغـارة ويحرق فكان كما أمر فأختنق من فيها من الدخان وعددهـم ألـف نفـس . ثم صار قاصداً متثيا فوجدهُ مع من معهُ مستعدين لـلحرب فشـرع أصحاب انتيوخوس يحثونهُ على اطاعة الملك أما هو فكان يجيب بالأمتناع وفى أثناء كلامهم تقدم أحد جنود التيوخوس وهو من اليهود الأشـقياء وابتدأ يوبخ متثيا وأخذ خنزيراً وذبحهُ وقدمهُ على هيكلٍ كان بناهُ

اليونانيون لمعسكرهم وذلك ليغيظ متثيا فتقدم إليه متثيا وضربهُ بالسيف فقتلهُ وتقــدم إلى القائد وقتلهُ فاشتدت بذلك يد اليهود وشعفت يد اليونان وهربوا بعــد انتشــاب القتال فتبعهم متثيا ومن معهُ وقتلوا منهم جمعاً غفيراً ولما سمع اليهــود ذلك تشددت عزايمهم وأجتمعوا إلى متثيا وعزم الجميع على محاربة اليونــان وفى هــذه السنة أى سنة ١٦٦ ق ٠ م توفى متثيا وتولىَّ ابنهُ يهوذا بعدهُ فأرسل إليهم فيلكس صاحب انتيوخوس عسكراً فهزموهُ فقوى يهوذا .

ولما بلغ انتيوخوس ذلك وكانت وقتئذٍ الفرس عصت عليهِ سار نحوهم وأمر أحد قوادهِ الذى كان نائباً عنهُ أن يوجه عسكراً قوياً إلى اليهود ويبيدهم . فوجه ثلاث فرق تحت قيادة نيكاتور وتليماس وهيرودس وشدد عليهم الأمر بإبــادة اليهــود وإذ بلغ ذلك يهوذا بن متثيا جمع اليهود إلى الهيكل وصاموا وصــلوا وطلــبوا المعونة من الله ثم رتبهم فرقاً فرقاً وأمر بأن يرجع كل جبان القلب وكان من بقى معهُ سبعة آلاف رجل من الجبابرة الصناديد فسارِ هم إلى معسكر اليونان وحملوا على فرقة نيكاتور فأنتشب القتال وكانت الغلبة ليهوذا فكســرهم كســرة عظيمة وبددهم وطلب الفرقتين الأخريين فأنتصر عليهما وبــدد شملهما وكان فيلكس معهما فهرب والتجأ إلى بيتٍ وأغلق بابهُ فجاءَ يهوذا وحرق البيت بالنار فأحترق فيلكس ومن معهُ وأما نيكاتور أحد القواد الثلاثة فهرب متنكراً إلى مكدونية وأخبر ليشاوس وكيل انتيوخوس بما أصابهُ وأما يهوذا المكابى فعاد إلى أورشليم منصوراً بالطرب والإبتهاج .

وإذ بلغ انتيوخوس انكسار قومهِ قصد أورشليم بجيش جرار عازماً على أهلاك اليهود وخراب أورشليم فلم يتيسر لهُ ذلك إذ مات في الطريق وذلك سنة ١٦٤ ق٠ م . أما يهوذا فلما فرغ من محاربة اليونانيين دخل أورشليم وهدم جميع المذابح التي بنيت بأمر انتيوخوس وأزال الأوثان وأمر بتطهير القدس وبتنظيفهِ وبنى مذبحاً جديداً وجعل عليه حطباً وذبائح مطهرة وقد قال يوسيفوس أنهُ دعا إلى الله وطلب منهُ أن يظهر ناراً على المذبح فأستجاب لهُ وأظهر ناراً من حجارة المذبح بقوتهِ العظيمة وبقيت إلى خراب أورشليم ثانيةً .

أما أفطر بن انتيوخوس اليوناني الذى تولى الملك بعد أبيهِ فلما بلغهُ ما حل بقومهِ أرسل ابن عمهِ ليشاوس لمحاربة اليهودية ولما بلغ يهوذا قدومهُ سار بقومهِ للقائهِ فلما رأوهم عن بعد خافوا لكثرتهم وقد قال يوسيفوس أنهُ نظر يهوذا شخصاً راكباً فرساً من نار ولباسهُ يلمع كالذهب وبيدهِ رمح وهو متوجه لنحو اليونانيين كأنهُ يحاربهم فعلم يهوذا أنهُ ملاك مرسل ليقويهُ فقوى قلبهُ وقلوب جيشهِ وهجموا على عسكر اليونانيي بالليل فقتلوا جماعة منهم وأوقع الله في قلوبهم الخوف فأنهزموا ملتجئين . ثم كاتب ليشاوس يهوذا في أمر الصلح فتم ذلك وأعطوا اليهود حرية الدين وهكذا انتهت الحرب .

الفصـــــل الثامن

أورشليم مدة تولى يهوذا عليها من قبل أفطر واتحادهُ مع الروم ثم محاربتهُ أباهم وغلبتهم على أورشليم تارةً وإنكسارهم أخرى عن يد رؤساء المكابين وملوكهم إلى ملك هيرودس الكبير

وإذ كان يهوذا والياً من قبل أفطر على اليهودية كاتبهُ الروم على الاتحاد فخلع طاعة افطر واتحد معهم وفى ذلك الوقت أتى تلمياس من قبل أفطر بمائةَ وعشـــرين ألـــف رجل وألف فارس لمحاربة يهوذا فالتقاهُ بعشرة آلاف وبدد جيوشـــهُ . ثم أتى هيرودس أيضاً بثلاثة آلاف رجل وأربعمائةَ فارس فأنتشب القـــتال بيـــنهما فقتل قائد جيش يهوذا وجماعة من رجالهِ فتوجه إليهم يهوذا وكســـرهم ويظـــن أن هيرودس قتل فى تلك المعركة . وإذ بلغ أفطر إنكسار قائديـــه ذهب بنفسه لمحاربتهم وأخذ ليشاوس ابن عمهِ معهُ وجيشاً عظيماً ولما قربوا خرج يهوذا للقايهم فى الليل وانتشب القتال بين الفريقين فكانت معركة قويـــة كان النصر بها ليهوذا . وفى اليوم الثانى بعد أن حدث قتالٌ شديد أمر افطـــر أن يرفع القتال وكان عدد من قتل ثمانمائة رجل فطلب أفطر المصالحة

فقبل يهوذا بعد أن عاهدهُ أفطر بأنه لا يأتى إليه بحرب ثم رجع إلى بلادهِ ورجع يهوذا أيضاً إلى أورشليم مكللاً بالغلبة .

وبعـــد ذلك قام ديمتريوس سوتر بن سلفانوس من رومية وحارب أفطر فأنتصر عليهِ وقتلهُ وقتل ابن عمهِ ليشاوس أيضاً ونودى بهِ ملكاً لسورية . ثم سرح قائدهُ نيكاتور إلى أورشليم وأمرهُ بالقبض على يهوذا فأتى إليهِ بالخداع غـــير أنـــهُ اتفق معهُ أخيراً وإذ بلغ ديمتريوس ذلك كتب إلى نيكاتور مشدداً بالقـــبض عليهِ وحينئذٍ جرت بينهما حربٌ فدارت الدائرة على نيكاتور فقتل وقـــتل ٥٠٠٠ مـــن رجالـــه. وفى السنة الثانية أتى قائد من بلاد الروم اسمهُ نيكـــيروس بثلاثين ألف رجل لمحاربة يهوذا فقسم جيشهُ إلى قسمين وكان مع يهوذا ثمانمائة رجل ولما انتشب القتال انكسر نيكيروس فتتبعهُ يهوذا ولم يدر أن الفرقة الثانية كامنه لهُ ولما وصل إلى قرب الكمين انتشب القتال أيضاً فقتل من الفريقين جمع كثير وقتل يهوذا أيضاً وذلك سنة ١٦١ ق.م فأخذهُ أخوتهُ إلى قبر أبائهِ وولوا أخاهُ يوناثان عوضاً عنهُ . ومضى ثوناثان بنفر قليل لنحو الأردن فأتـــاه نيكـــيروس بعســـكرهِ ولما جن الليل خرج يوناثان بجيشه إلى معسكر نيكيروس وكسرهُ وقبض على نيكيروس وإراد قتلهُ فأقسم لهُ أنهُ إذا عفا عنهُ يطـــلق جميع أسرى اليهود ولا يعود إلى محاربتهِ فكان كذلك ثم مات يوناثان . وتولى أخوهُ شمعون مكانهُ . ووجه ديمتريوس جيشاً لمحاربتهِ فخرج إليهِ شمعون وقسم جيشهُ فرقتين ولما قامت الحرب على قدم وساق أطبقت الفرقتان على جيش ديمتريوس وأهلكتاه ولم تبقيا منهم إلا نفراً قليلاً ففروا هاربين .

أمـــا شمعـــون فوثب عليهِ بعد ذلك صهرهُ وقتلهُ [1] وتولى الأمر بعده هـــركانوس ابنهُ [2] وفى ذلك الوقت إذ بلغ ديمتريوس سيداتس بن ديمتريوس ســـوتر الذى ملك بعد موت أبيهِ قتل شمعون قدم بجيوشهِ للأنتقام من اليهود لأن شمعـــون كان قد قتل قواد ديمتريوس فسار إلى أورشليم فى عسكر عظيم وبعـــد حروبٍ عديدة إذ لم ينجح صالح اليهود وقدم هدايا للهيكل . وقد أقر لهـــركانوس بالاستقلال فى سنة ١٣٠ ق ٠ م ثم أن هركانوس بعد أن أصلح مـــن الســـور مـــا كان قد هدمهُ ديمتريوس المذكور ذهب معهُ لمحاربة العجم وانتصـــرا ثم ذهب ديمتريوس إلى بلاد الفرس فلم يتبعهُ هركانوس لعدم جواز سفرهِ فى السبت وبعد ذلك كان عيد العنصرة فتأخر عن اتباع ديمتريوس وإذ كـــان مصمماً على المسير إليه بلغهُ خبر إنكسارهِ فقفل راجعاً وفى مسيره سار نحـــو الســـامرة وأخـــرب الهيكل الذى بناهُ سنبلط السامرى فى أيام إسكندر المكـــدونى وفـــتح غير ذلك فتوحات كثيرة كفتحة حلب والشام وبلاد ادوم وبـــلاد السمرة. ثم جدد العهد الذى كان بين اليهود وبين الشيخ والثلاثمائة

---

(١) واســـم صهره تلماى قتلهُ لأسبابٍ كانت بينهما وقبض على أمرأة المقتول وولديه فلما بـــلغ هـــركانوس دلـــك فر من أمامهِ إلى غزة فتبعهُ تلماى وأراد قتلهُ فلم يتمكن لأســـعاف أهـــل غزة لهُ . ثم سار تلماى إلى داجون ومعهُ أم هركانوس وأخوتهُ ولما انصـــرف عـــنهُ توجه هركانوس إلى أورشليم وبعد أن أقيم والياً اجتمع بعسكر أبيهِ وطلب قتل تلماى فلما جد فى هدم سور داجون خاف تلماى فأصعد أم هركانوس وأخوته على السور وهدد هركانوس بطرحهم إلى السفل إذا دام الحصار فرجع عنهُ وبعد رجوعه قتلهم تلماى وهرب إلى بلاد بعيدة .

(٢) سماه أبوه هركانوس لأنهُ قتل جباراً بهذا الأسم وأسمهُ الحقيقى يوحانان .

والعشــــرين المدبرين معهُ الذين كانوا أصحاب رومية وهو أول من سمى ملكاً مـــن اليهود فى مدة الهيكل الثانى وتوفى ولهُ من العمر ٢٩ سنة وكانت وفاتهُ سنة ١٠٩ ق٠م وملك ابنهُ أرسطوبولوس مكانهُ . أما أرسطو بولوس فكان متكـــبراً متجـــبراً وقيد أخاهُ إسكندر ووالدتهُ لأنها كانت تميل إليهِ ومال إلى انـــتغونوس أخيـــهِ وبعثهُ لمحاربة الأمم الذين عصوهُ فقهرهم وردهم إلى طاعته وعاد إلى القدس ظافراً ولما رجع قبل أن يمضى إلى دار الملك ذهب إلى الهيكل ليشـــكر ألهـــهُ الذى أعطاهُ الغلبة على أعدائه وإذ كان جميل الصورة والقامة ومتقـــلداً أســـلحتهُ وراهُ الـــناس تعجبوا من حسنهِ وجمالهِ ورشاقتهِ وكان لهُ مبغضون وحساد كثيرون فتقدموا إلى الملك وقالوا لهُ أن أخاك قد عمل على قتلك ولذلك لم يدخل إليك لما قدم بل ذهب إلى الهيكل وذلك ليستميل الناس إليـــه فـــأنخدع الملك وخاف وأمر رجالهُ أن يلبسوا أسلحتهم ويقتلوا كل من أراد الدخـــول إليهِ وعليهِ شيءٌ من السلاح ووجه رسولاً إلى أخيهِ بأمره بأن ينزع ما عليه من السلاح ويحضر إليهِ ولا يتأخر وكانت أمرأة أرسطو بولوس تكـــره الـــتغونوس وتروم قتلهُ فأستدعت الرسول وأعطتهُ أموالاً وأمرتهُ أن يعكس الرسالة أى أن يطلب اليهِ بأمر الملك أن يحضر بكل سلاحهِ لأن الملك يـــريد أن يـــرى حســـن زيه فحضر على الفور ولما أراد الدخول قتلهُ الخدام حســـب أمر الملك أن يتقلوا كل من أراد الدخول اليه بالسلاح ثم بعد ذلك عـــلم الملك أن قتل أخيهِ كان بخديعة فحزن عليهِ حزناً عظيماً حتى أفضى بهِ حـــزنهُ إلى المـــوت فمات سنة ١٠٤ ق . م وكانت مدة ملكهِ سنة واحدة وملك أخوهُ إسكندر جانيوس مكانهُ .

أمـــا إسكندر فلما ملك بلغهُ أن أهل عكا وغزة عصوا عليهِ بعد موت أرســـطوبولوس ذهب إلى عكا وحاصرها وأرسل أهل عكا يطلبون المعونة من ليطـــرا مـــلك قبرص (وهو بطليموس لاثوروس) ابن كليوباتره ملكة مصر فحضر ولما بلغ اسكندر قدومهُ رجع عنها ثم ذهب لمحاربة صيدا ففتحها ورجع إلى أورشـــليم ظافراً . وبعد ذلك اتى ليطرا ابن كليوباتره إلى الأردن لمحاربة اســـكندر فالتقاه هناك وثارت بينهما حربُ عظيمة انكسر بها اسكندر ورجع إلى أورشليم مقهوراً وبعد رجوع ليطرا إلى قبرس سار إسكندر إلى غزة ففتحها وقتل أهلها لأنهم عانوا ليطرا عليهِ وعاد إلى أورشليم .

وفى تـــلك الســـنة : إذ كـــان عيد المظال رمى أحد الفرنسيين ليمونة فأصـــابت المـــلك فقام أصحابهُ على الفرنسيين وبأمر الملك قتلوا منهم ومن قومهـــم ســـتة الآف رجل وهذه الحادثة كانت بداية الخلاف بين الصدوقيين والفرنســـيين واتصـــلت الحـــروب بينهم أياماً كثيرة قتل فيها من الفرنسيين وقومهـــم خمســـون ألـــف رجل . وذهب جماعة من الفرنسيين إلى ديمتريوس يوساريوس بن انتيوخوس الثامن وطلبوا منهُ المعونة فأتى برجالهِ لمحارة إسكندر فكســـرهُ وهـــرب إسكندر إلى الجبال ثم انضم إلى جيشهِ كثيرون من رجال ديمـــتريوس وبعـــد أن جمع جيشاً عظيماً أتى إلى ديمتريوس وكسرهُ فالتزم أن يرجع إلى بلادهِ ثم أنتصر إسكندر على الفرنسيين وقتل كثيرين منهم وكانت مـــدة غوبتهِ فى الحروب ثلاث سنين . ثم رجع إلى أورشليم بعد أن ظفر بأكثر أعدائهِ .

وسنة ٧٧ ق . م مات أسكندر بينما كان يحاصر احدى المدن واختفت امـــرأتهُ موتهُ إلى أن فتحت المدينة ورجعت إلى أورشليم واقيمت والدتهُ الملكة إسكندرة مكانهُ وكانت مدة ملكه ٢٧ سنة .

وفى مدة ملك إسكندره كانت قلاقل كثيرة فى أورشليم بين الصدوقيين والفرنسيين فأخرجت الصدوقيين من المدينة لحفظ الراحة وملكت تسع سنين وتوفيت سنة ٦٩ ق . م ولها من العمر ٧٣ سنة .

وقـــبل أن مـــاتت وهى فى شدة المرض خرج ابنها أرسطوبولوس من أورشـــليم مـــتحزياً للصدوقيين كما تحزب أخوهُ هركانوس للفرنسيين وانهزم هـــركانوس إلى أورشـــليم فتبعهُ أرسطوبولوس وحدثت بينهما حربُ عظيمة فخـــرج شـــيوخ أورشليم وصالحوهما بتسليم الكهنوت لهركانوس والسياسة لأرسطوبولوس فصار ملكاً فى أورشليم وأخمدت الفتن إلى أن دخل رجل أسمهُ انتيبطرس وهو عسقلانى الجنس دخل أجدادهُ بين الاسرائيليين حينما سبوا إلى بـــابل فأفسد بينهما وقال لهركانوس أن أخاك يريد قتلك فالزمهُ بالالتجاء إلى هـــريمة ارتياش ملك العرب الذى كان خاطبهُ انتيبطرس أولاً كما أنهُ خاطب كثيرين من اليهود فخدع هركانوس وأخذهُ إلى هريمة فأكرمهُ غاية الاكرام ثم أن انتيـــبطرس اغـــرى مـــلك العـــرب وهـــركانوس على أن ينهضا لمحاربة أرسطوبولوس فقاما بجيش عظيم ولما وصلا إلى أورشليم انضم إليها عدد كثير فلما رأى أرسطوبولوس كثيرة جيوشهما قفل راجعاً بدون حرب ودخل المدينة فتـــبعهُ هركانوس وهريمة وانتشب القتال بين الفريقين وحدثت معركة عظيمة الجـــأت كـــثيرين مـــن محبى السلم إلى الهرب والانتقال إلى مصر . وحاصر أرسطوبولوس مع الكهنة والشعب الذى معهُ فى الهيكل وذلك سنة ٦٥ ق . م

وإذ كـــان عيد الفطير طلبوا من هركانوس بقراً وغنماً ليقدموا ذبائح فقيل أن يعطيهـــم بشـــرط أن يدفعوا عن كل رأس ألف دينار فارتضى أرسطوبولوس بذلك وجمع مالاً ودفعهُ لهم لكنهم بعد أن أخذوا المال نكثوا بذلك الوعد ولم يقدموا الثيران وسنة ٦٤ ق .م إذ كان بمبيوس[1] صاحب جيش الروم خارجاً لمحاربـــة ســـكان دمشق وحمص وحلب وما يليها من البلاد السورية وكان قد أرســـل القائد شكاروس إلى دمشق فبلغ أرسطوبولوس ذلك فوجه إليه رسلاً يطلـــبون إليهِ أن يساعدهُ على محاربة أخيهِ ووجه إليهِ هركانوس رسلاً فامتنع عـــن إجابة طلبهما ولكنهُ أرسل وطلب إلى هريمة أن يرجع إلى بلادهِ وهددهُ بالحرب إذا لم يرجع فرجع على الفور ورجع معهُ هركانوس والتيبطرس . وإذ أتـــى افيفـــوس أحد قواد الروم إلى دمشق طلب أرسطوبولوس منهُ المساعدة وقدم لهُ هدايا ثمينة وهركانوس أيضاً وجه إليهِ انتيبطرس . ومع أنهُ كان عازماً عـــلى مســـاعدة أرســـطوبولوس أغراه انتيبطرس وهكذا عزم على مساعدة هـــركانوس فلما حضر بمبيوس إلى دمشق وكان بلغهُ كل ما جرى كتب إلى أرســـطوبولوس يأمرهُ باحضور اليهِ فحضر وحضر هركانوس وانتيبطرس أيضاً فاجـــتمع بكـــليهما وإذ رأى ما رأى من هيبة رجال أرسطوبولوس رغب فى الاســـتيلاء على اليهودية ولذلك وعد أرسطوبولوس وهركانوس انهُ متى أتى أورشليم يلا فى الأمر . وفى ذلك الحين ذهب انتيبطرس إلى كل الأماكن التى

[1] وهـــو رفيق يوليوس قيصر من مشاهير القواد الرومانيين وقد افتتح خمس عشرة مملكة واخـــذ ثمان مئة مدينة وبعد غلباتهِ العظيمة سوَّلت لهُ نفسهُ الانفراد فى الملك فجمع جيشاً لمحاربة قيصر لكنهُ لم يتم لهُ ذلك إذ قتلهُ بعض جنودهِ ولما بلغ قيصر ذلك حزن عليهِ وعاقب قاتليهِ.

اســتولى عــليها أرسطوبولوس وأمر أهاليها أن يتذمروا من حكمهِ الظالم أمام بمــبيوس . وإذ جرى ذلك وتحزب كثيرون ضد أرسطوبولوس فر حينئذٍ من عند بمبيوس إلى أورشليم وذلك فى سنة ٦٣ ق . م فتبعهُ بمبيوس إليها فخرج أرســطوبولوس معتذراً إليهِ فصفح لهُ بشرط أن يعطيهُ كل ما يوجد فى الهيكل من الآنية فقبل بذلك ووجه بمبيوس رجالاً ليقبضوا على ما فيهِ فمنعهم الكهنة وأخــرجوهم من المدينة وقتلوا بعضهم وإذ بلغ بمبيوس ذلك غضب وقيــد أرســطو بولوس وأرسل قومهُ لأهلاك المدينة فحاربهُ اليهود وقتلوا كثيرين من رجالــهُ وغلقوا أبواب المدينة وفى تلك المدة حدثت وقائع كثيرة بين أصحاب أرســطو بولوس وأصحاب هركانوس وإذ بلغ بمبيوس ذلك تقدم لحو المدينة وجــار بها ففتح لهُ بعض اليهود باباً فدخلها وأراد أن يدخل الهيكل فلم يقدر وحدثــت حــربٌ مهولة ولما ملت رجال بمبيوس من الحرب أمر أن تنصب الكباش على أسوار الهيكل فنصبت وأنهدم برج واحد من السور فدخل الروم وقتلوا جماً غفيراً وقتلوا الكهنة إذ كانوا يقدمون القرابين ونهبوا الهيكل ، وفى هذه السنة جعل اليهود يؤَدون الخراج للسلطنة الرومانية .

ولما دخل بمبيوس الهيكل أعجبهُ حسن منظرهِ وبنائهِ فأمر بتنظيفهِ وبدفن القتــلى وتقــديم القــرابين وملّك التيبطرس الأدومى وهركانوس مع قائدهِ شكاروس على اليهود ثم رجع إلى رومية ومعهُ أرسطوبولوس وأثنان من أولاده مقيدون.

وكان لأرسطو بولوس ولدٌ ثالث اسمهُ إسكندر لم يأخذهُ بمبيوس معهُ إلى رومية لأنهُ كان مختبئاً فلما رجع بمبيوس ذهب هركانوس وانتيبطرس وشكاروس لمحاربة العرب ليدخلوهم فى طاعة الروم ولما خرجوا من المدينة دخل إسكندر بن أرسطوبولوس أورشليم فتلقاهُ أهلها بفرح وملكوه عليهم فأصلح ما كان هدمهُ بمبيوس من السور .

ولما عاد هركانوس ومن معهُ خرج إليهم إسكندر وحاربهم فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفى ذلك الحين أتى سورية قائد من رومية يسمى كينانوس فلما بلغهُ فعل اسكندر بن أرسطوبولوس صعد إلى أورشليم لمحاربته وأنظم إليه هركانوس واتباعهُ فخرج إليهم من أورشليم وانتشبت بين الفريقين حربٌ دارت الدائرة فيها على إسكندر فأنهزم إلى حصن يسمى إسكندرونة فحضر كينانوس إليه وضيق عليهِ فخرج مستامناً فأمنهُ .

وسنة ٥٦ ق.م هرب أرسطوبولوس مع أحد أولاده من رومية وأتى إلى أورشليم فتبعهُ جمع كثير ولما بلغ كينانوس ذلك زحف إليهِ وحاربهُ وأنتصر عليهِ وأسرهُ وأرجعهُ إلى رومية .

وسنة ٥٣ ق.م إذ كان ولى الرومان كراسوس على ولاية سورية عوضاً عن غابينوس أتى كرسوس المذكور إلى أورشليم وأخذ أموالاً من الهيكل .

وفى غضون ذلك إذ بلغ كينانوس أن أهل مصر أمتنعوا عن تأدية الخراج إلى الروم اليهم من أورشليم ومعهُ انتيبطرس فحاربهم وبعد أن

أخضعهم رجع إلى أورشليم وجدد الملك لهركانوس ورقى انتيبطرس ورجع إلى رومية .

وفى تلك المدة عصى الفرس على الروم فوجهوا إليهم القائد كرسوس فســار من رومية بعسكر عظيم ومر بأورشليم وأخذ من الهيكل كل ما وجد فيهِ من الذهب الكثير .

وبعــد ذلك قدم كسيلو القائد الرومانى لأنهُ كان قد بلغ رومية أنهُ قد تشــتت شمل جنود كرسوس فمر بأورشليم ورأى اليهود يحاربون هركانوس وانتيــبطرس فأنتصر لهما وسار فى طريقهِ بعد أن أخضع العصاة على الروم فى سورية .

وســنة ٤٩ ق٠م إذ كــان قــد تغلب قيصر على الشنج والثلاثمائة والعشرين الذين كانوا حكام رومية وكان قد بلغهُ أن بمبيوس قد جمع جيوشاً لمحاربته اطلق أرسطوبولوس من السجن وأعطاهُ قائدين وأثنى عشر ألف مقاتل ليــأتى بلاد الشام ويردع الذين كانوا قد عصوهُ وإذ بلغ بمبيوس ذلك كتب لانتيبطرس بأن يحتال على أهلاك أرسطوبولوس فلّبى طلبهُ وارسل قوماً ليلاقوه وأعطــاهم سمــاً ليهــلكوهُ بهِ فلما وصلوا إليهِ أكرمهم غاية الإكرام وعندما سنحت لهم الفرصة سقوهُ السم فمات .

وفى هذه السنة : ولى يوليوس قيصر انتيبطرس على اليهودية .

وسنة ٤٧ ق٠م إذ أتى قيصر سورية ثبت هركانوس فى وظيفة الحبرية والملكية وبسبب توانيهِ تمكن انتيبطرس من إقامة ابنهِ فزائيل والياً لأورشليم .

وسنة ٤٥ ق٠م كتب هركانوس إلى قيصر يطلب إليه تجديد العهد الذى كان بين اليهود وبين الروم قبل تملك قيصر فأجاب طلبهُ وأكرم رسلهُ .

وبعد ذلك عُزِل انتيبطرس بأمر الدولة الرومانية وملك ابنهُ هيرودس الكبير مكانهُ .

ثم مات انتيبطرس مسموماً برأى اليهود لأنهُ كان رديًا مبغوضاً من كثيرين أما قاتلهُ فهو ملكياً الذى انتقم منهُ هيرودس وقتلهُ بحيلة .

وسنة ٤٠ ق ٠ م ذهب انتيغونوس بن أرسطوبولوس مع جماعة من اليهود إلى ملك العجم وطلب إليهِ أن يعضدهُ على أخذ الملك من عمهِ هركانوس وتعهد لهُ بدفع مبالغ وهدايا ثمينة فأجاب طلبهُ وسار بعساكرهِ الجرارة إلى سورية ففتح مدناً كثيرة وقتل ولاتها الذين كانوا من قبل الدولة الرومانية ووجه بقائد من قوادهِ وبجيش كثير العَدَد والعدَد مع انتيغونوس إلى أورشليم وتظاهر ذلك القائد بالخداع وبأنه آتٍ بانتيغونوس للهيكل فقط ولما توسطوا المدينة شرعوا فى القتل والنهب فلما رأى هيرودوس الكبير ابن انتيبطرس ذلك ذهب إلى قصر الملك هركانوس وضبطهُ وفيلو أخوهُ أيضاً ضبط الحسن ومنع الأعجام عن الخروج فأهلكوا منهم قوماً كثيراً ولما لم ينجح قائد الأعجام أخذ يعتذر لهم قائلاً أن ذلك كان بدون إرادتهِ وأنهُ يريد تثبيت

المـــودة بـــين العجم واليهود فلم يركن هيرودوس إليه وأما هركانوس وفيلو فانخدعـــا بمقاله وخرجا إليه فأكرمهما وارتحل من أورشليم وأخذهما معهُ ولما ســـار إلى بلاد الشام قبض عليهما وقتل فيلو نفسهُ أما انتيغونوس فقطع إذن هــــركانوس لكـــى لا يصلح أن يكون كاهناً فيما بعد. ثم وجه ملك الفرسى انتيغونوس ليملكهُ فى أورشليم .

فلما بلغ هيرودس موت أخيه وقطع أذن هركانوس فرَّ بعياله إلى جبال الشـــراه [1] ووضعهم عند أخيه يوسف وسار متوجهاً إلى رومية فمر فى مصر وذهب إلى كليوباترا الملكة فأكرمتهُ بالهدايا وأعطتهُ سفناً ورجالاً لتكون بخدمته وذهب فى طريقه إلى رومية ونزل عند صديقه انطونيوس صاحب جيش قيصر فأكـــرمهُ غاية الأكرام ثم مثل بين يدى أوعسطوس قيصر ولما اطلعهُ على كل الحـــوادث التى جرت لهُ وكيف أن ملك العجم ملَّك انتيغونوس اتفق قيصر والطونيوس والشيوخ فى رومية على تمليك هيرودس على اليهودية وكان ذلك ســـنة ٤٠ ق ٠ م فتوَّجعُ قيصر وأمر بأن يضرب أمامهُ بالأبواق وينادى بأن أوغسطوس قد ملَّك هيرودس على اليهودية وعلى أورشليم .

(١) وهى بلاد الكرك والبلقاء والشوبك .

الفصـــــل التاسع

حالة أورشليم

فى مدة تسلط هيرودس الكبير عليها

عـــند ذلـــك سار انطونيوس الرومانى بعسكر عظيم لمحاربة العجم وأما هـــيرودس فســـار بعســـاكرهِ إلى أورشـــليم وتقـــدم لمحاربة انتيغونوس بن أرســـطوبولوس وإذ بلغ انتيغونوس ذلك ذهب إلى جبال الشراه ليقبض على عيـــال هـــيرودس فحاصرت حصاراً عظيماً وإذ فرغ الماءُ من عندهم وصمم بعضهم على الهرب والبعض على التسليم أمطرت السماءُ فاكفتهم ماءً وعند ذلـــك تشـــددت قلوب المحصورين وداوموا الحصارِ . فلما بلغ هيرودس أن انتيغونوس يحاصر عيالهُ ورجالهُ سار إليهم وجرت بينهما معركة شديدة وإذ كـــان قد خرج يوسف من محل الحصار لمحاربتهم وكان أخوهُ هيرودس يحاربهم من خارج أطبقا على انتيغونوس فأهلكا من جيشهِ خلقاً كثيراً فقفل راجعاً إلى أورشـــليم ودخل المدينة وتحصن فيها وحدثت بينهما حربٌ طويلة لم يفز أحدُ فيهمـــا بالغلبة ولم يزالا كذلك إلى أن رجع انطونيوس من العجم ظافراً منصوراً فانهُ حالما بلغ هيرودس رجوعهُ إلى الفرات وافاهُ إلى هناك واعلمهُ بواقعة الحال وطلب منهُ الإسعاف فأرسل معهُ فرقة تحت قيادة سيساوس القائد وذهب كلٌ فى طـــريقهِ ولمـــا وصـــل هيرودس إلى دمشق بلغهُ أن قوقاس صاحب جيش

انتيغونوس يحارب أخاهُ يوسف الذى قتل فى تلك المعارك فخلف سيساوس فى دمشق وزحف باثنى عشر ألف جندى إلى انتيغونوس وقوقاس فلقيهما فى جبل الجليل فجرت بينهما حربُ انهزم بها انتيغونوس ودخل أورشليم وانحصر فيها. أما قوقاس فكان شجاعاً جباراً من الأبطال الأشدّاءِ فلبث بعساكرهِ ثابتاً إلى أن قــتل هو وأكثر رجالهِ ثم أن هيرودس بعد هذه النصرة وافى سيساوس بعد أن كــان قــد تــركهُ فى دمشــق وزحف لحصار أورشليم وجرت بينهما وبين الاورشليميين حروب كثيرة . وفى أحدى الليالى إذ نام بعض الحراس وعلم قوم من أصحاب هيرودس صعدت زمرة منهم على السلالم وقتلت الحواس ثم فــتحوا الأبواب ودخلت الجيوش وابتدأوا فى النهب والقتل فقتلت أكثر أهل المديــنة وذلك بأمر سيساوس فلما بلغ هيرودس ذلك عظم الأمر عليهِ وقال لسيســاوس مــا هذا الأمر فانهُ قد قتل أكثر شعبى فعلى من أملك بعد ذلك وحينئذٍ أمر سيساوس فكف القتل وذك سنة ٣٧ ق .م .

ولمــا فتحت المدينة طلبوا التيغونوس وإذ وجدوهُ أخذهُ سيساوس مقيداً قيل بطلب هيرودس الذى رشى بمالٍ كثيرٍ ليامن من غوايلهِ وقتل أيضاً كل من كان ينازعهُ ولما خضعت لهُ اليهودية بأسرها عاد وغزا جميع الأمم الذين كانوا قــد عصــوا ملوك اليهود وطلب هركانوس من ملك العجم بزعمهِ انهُ يريد إكــرامهُ وقــدم لملك العجم هدية عظيمة فأرسلهُ إليهِ ولما وصل أكرمهُ غاية الإكــرام ولكنهُ كان مضمراً لهُ الشر ولما عرفت امرأة هيرودس وابنهُ ما كان قد نواهُ من قتل هذا الشيخ التقى أخبراهُ وكذلك كثيرون من وجوه اليهود .

وعندما تأكد هركانوس منهم ذلك كتب إلى ملك العرب أن يرسل إليه من يأخذهُ إلى بلادهِ سرًّا وأرسل التحرير مع رجلٍ كان شديد البغضة لهيرودس لأنــهُ كـــان قد قتل أخاهُ وسلب مالهُ فلذلك اركن هركانوس إليه فلما أخذ التحرير بعد أن عاهد هركانوس بأن لا يسلمهُ إلاّ إلى ملك العرب أخذهُ على الفـــور وســـلمهُ إلى هيرودس فكانت هذه الحادثة مسعفة لهُ على تنفيذ غايته فقتلهُ فى ذلك الحين ولهُ من العمر ثمانون سنة . وكان شيخاً جليلاً عاقلاً تقياً حســـن السيرة وهو أخر من ملك على اليهود من الكهنة ومدة ملكهِ أربعون سنة .

وفى ذلك الوقت اتسعت البلاد أمام هيرودس ولم يعد لهُ مناظر ولا عدو لأن الجميـــع أطـــاعوا لســـلطتهِ وكانت امرأتهُ مريم ابنة أرسطوبولوس أخى هـــركانوس وأخوهـــا أرسطوبولوس (بأسم والدهِ) من أحسن الناس منظراً وكـــان هيرودس يحب امرأتهُ محبة شديدة لفرط حسنها وجمالها أما هى فكانت تكـــرههُ لأنـــهُ كـــان سفاكاً للدماءِ ولأنهُ قتل جدها هركانوس وكذلك أمها إســـكندرة التى كانت تحب أن يكون ابنها أرسطوبولوس كاهناً أعظم عوضاً عـــن هـــركانوس جدهِ أما هيرودس فلم يحب ذلك خوفاً من اجتذاب قلوب الشعب إليهِ لمحبتهم لهركانوس حدهِ ولا هليته . أما إسكندرة والدتهُ فإذا كان بيـــنها وبين كليوباترة ملكة مصر محبة طلبت إليها كتابة أن تطلب من زوجها أنطونيوس أن يأمر هيرودس بأن يقدم أبنها أرسطوبولوس أن يأمر هيرودس بأن يقـــدم أبنها أرسطوبولوس كاهناً عظيماً فكان كما طلبت ولكن لم يأت ذلك بنتيجة لأن هيرودس أجاب رسول انطونيوس أنهُ ضد شريعة اليهود أن يعزل كاهـــناً مع أنهُ كان أقام كاهناً عظيماً من لفيف الكهنة أما رسول أنطونيوس

فلما رأى حسن وجمال منظر أرسطوبولوس طلب أن يأخذ صورتهُ وأعداً والدتهُ أنهُ متى رآها أنطونيوس لابد من تنفيذ كطلوبها فأخذ صورتهُ وذهب راجعاً إلى مصر ولما شاهدها أنطونيوس رغب أن يراها فطلب بلجاجة إلى هيرودس أن يرسلهُ إليهِ بدون تأخر فلما بلغ هيرودس ذلك خاف من النهاية وحينئذٍ أقامهُ رئيس كهنة وأجاب أنطونيوس أننى اطاعةً لأمرك أجبرت اليهود على قبول عزل الكاهن السابق ووضع أرسطوبولوس مكانهُ والآن لا يجوز أرسالهُ إليك لأنهُ كاهنٌ فيجب عليه ممارسة وظيفته التى لا تسمح لهُ بالخروج من أورشليم لأنهُ ليس كالملوك يمكنهُ الذهاب حيثما أراد وإذا الزمتهُ بالذهاب إليك وبما يهيج اليهود دفنته فلما بلغ أنطونيوس ذلك عن طلبه أما إسكندرة وابنتها مريم امرأة هيرودس فكان بغضهما لهيرودوس يشتد يومياً وكتبنت إسكندرة إلى كليوباترة تطلب المساعدة عليهِ فأجابتها قائلة أحضرى بحيلة إلى يافا فأنى أرسلت لكِ قوماً وسفناً ليأتوا بك إلىّ فصنعت إسكندرة تابوتين ودخلت فى الواحد ودخل ولدها أرسطوبولوس فى الآخر فلما بلغ هيرودس خبرهما أحضرهما من حيث وصلا وكانت بغضتهُ لهما تشتد أكثر فأكثر . أما أرسطوبولوس فكانت تميل إليه الناس كثيراً فأبتدأ هيرودس يدبر حيلةً يهلكهُ بها وفى ذات يوم إذ كان عيد المظال خرج الملك وحشمهُ إلى أريحا وبعد أن تناولوا الطعام خرج الغلمان إلى الماء يستحموا فإذا بلغ هيرودس ذلك قال لغلمانه استدعوا أرسطوبولوس ومتى نزل فى الماءِ غرّقوهُ فكان كما أمر وأخرجوهُ من الماء ميتاً فلما رآهُ الناس أشتد غمهم عليهِ وندم هيرودس على قتلهِ وبكى عليهِ بكاءٍ مفرطاً لما رآهُ ميتاً وأمر بدفنهِ بالإكرام وكان ذلك سنة ٣٤ ق ٠ م .

وبعد هذه الحوادث بمدة ذهب هيرودس من أورشليم إلى مصر بطلب أنطونيوس ليسعفهُ على محاربة قيصر غير أنهُ أمرهُ بالرجوع ليحفظ البلاد من الأعـــداء الذين وراءَهم وليحارب العرب أيضاً فرجع ووجهت معهُ كليوباتره قـــائداً بجيوشه وقالت لهُ أنهُ يعينك فى القتال وكانت قد قالت للقائد سراً أن يحتال على هيرودس ويقتلهُ لأنها كانت تكره عيرودس لأسباب منها أنها كانت تحب أن تستولى على مملكتهِ وإكراماً لإسكندرة . وفى سنة ٣١ ق . م طلب هيرودس أن يصالح ملك العرب فلم يقبل فجمع حينئذٍ هيرودس جيشاً عظيماً وأتـــى إلى ملك العرب وحاصره وشدد الحصار عليهِ فلما نفذ الماءُ من عنده طلب المصالحة فرفض هيرودس القبول فعند ذلك عزم ملك العرب على خرق صفوف الأعداء برجالهِ لئلاً يموتوا عطشاً ولكن لم يجدهم ذلك نفعاً إذ هلك مـــنهم خلقٌ كثير وخربت ديارهم فتذلل العرب لهيرودس وطلبوا منهُ الأمان فأمنهم وضرب عليهم جزية سنوياً ورجع إلى أورشليم ظافراً .

وسنة ٣١ ق . م حدثت زلزلة مهولة فى اليهودية قتل بها عشرون ألف نفس تحت الردم وعدد كثير من المواشى .

أمـــا انطونيـــوس فبعد أن أمر هيرودس بأن يرجع من مصر ليحارب العـــرب ذهـــب هو إلى رومية لمحاربة أوغسطس قيصر وكان قيصر قد أنتصر عـــليهِ وقتلهُ وأتى بجيوشهِ إلى مصر لمحاربة كليوبتره أمرأة أنطونيوس فأستولى على بلادها ولما بلغ هيرودس قدوم قيصر إلى مصر خاف جداً وأرسل نساءَهُ إلى قـــلعة جبال الشراه وتوجه هو بهدايا كثيرة إلى قيصر الذى كان قد عزم

على قتله لما بلغهُ من اتفاقه مع انطونيوس عدوه فلما وصل هيرودس إلى أمامه أمر أن ينزع التاج عن راسه فتقدم هيرودس وتكلم بفصاحة مقرراً بما راق فى عيـــنى قيصر فأمر بارجاع التاج إليه وأمرهُ بالرجوع إلى أورشليم وذلك سنة ٣٠ ق ٠ م . وبعد رجوع هيرودس أخبرتهُ أختهُ عن مريم أمراته أخباراً ردية فــلم يسمع لها لما كان يعرف ما عندها من البغض لها وكانت تكثر من الطعن فيهـــا إلى أن أمر بقتل أمرأته بسنة ٣٨ ق٠ م وقتل أيضاً زوج أخته وزوَّجها لــرجل مـــن الأدوميين وولاه بلاد أدوم وكان قوّم من أولاد الملوك المكابين مختبئين هناك فستر زوج أخته المسمى كرسوس أمرهم وبعد حين طلبت أخت هيرودس الطلاق من زوجها فحصلت على مرغوبها وحينئذ أخبرت أخاها عن أولاد المكـــابيين المختبـــئين هناك فأمر بأحضارهم وقتلهم عن أخرهم وقتل كرســـوس صـــهرهُ أيضاً وقد مقتهُ كثيرون لرداءَة سياسته وحبه لسفك الدم ولكنهم لم يجسروا أن يجاهروا بذلك ولما علم هيرودس بهذا الأمر قتل كل من كان يظن أنهُ عدوٌّ لهُ .

وسنة ١٩ ق ٠ م إذ كان قد أطاعهُ الجميع ولم يعد لهُ منازع ولا مداعٍ رغـــب فى أن يرمم الهيكل ويبنيهُ كبناء سليمان فهدمهُ وبناهُ ثانيةً . وكان قد أرسل ولديه إلى رومية ليتعلما اللغة اليونانية فلما عرفا ما جرى لأمهما غضبا ولما رجعا لم يكرما أباهما كالواجب لما حصل عندهما من البغض لهُ بسبب قتلهُ إياها فلما رأى منهما ذلك نفر هو أيضاً منهما .

وكــان لهُ أمــرأة قــبل مريم أسمهما رسيس وكان لها ابن منهُ يسمى انتيبطرس وكان هيرودس قد أبعدها مع ابنها لشدة محبتهُ لمريم امرأته فلما قتلها ارجع رسيس وأبنها وقرب انتيبطرس غليهِ وجعلهُ ولى عهده من بعده فخاف انتيبطرس أن ينازعهُ أخواهُ فى الملك بعد موت أبيهِ لأن أمهما كانت بنت أحد إجــلاء الكهنة وأشراف الملوك وكانت رسيس من عامة اليهود وإذ كان يريد انتيــبطرس أن يســتريح مــن أخويهِ فى حياة أبيه عزم على اختراع طريقة هلاكهما وفى ذات يوم قال لأبيه أن إسكندر وأرسطوبولوس يقولان أنهما أحق منى فى الملك وهما يعاديانك ويريدان قتلك لأنك قتلت أمهما وقدمتنى عليهما ولم يــزل يكــرر هــذا القول عليهِ إلى أن أثر فيهِ تأثيراً عظيماً وحول التفاتهُ عنهما.

وسنة ١١ ق . م سار هيرودس على رومية وأخذ معهُ إسكندر ابنهُ ولما مثلاً بين يدى أوغسطوس شكاه إليهِ وقال لهُ أنهُ يعادينى بسبب أمهِ ويريد قتلى فقال لهُ اوغسطس لما أحوجت أباك لأن يشكوك فقال إسكندر أيها الملك أننى لا أقــدر أن أنكــر حزنى على التى قتلت بريئةً فأن الحيوانات تحن إلى أمهاتها وتحــبها وتألفها وتحزن عليها وما أنا براض أن أكون محروماً من الوالدين لكن أخـــى انتيبطرس يتفوه بذلك ليغضب أبى علىَّ وعلى أخى ليقتلنا ويأخذ الملك لهُ وكان إسكندر يتكلم ويبكى على فقد أمهِ فرق قلب أوغسطس وأمرهُ أن يقــبل رجل والدهُ وكذلك والدهُ قبلهُ وأمرهُ قيصر أن لا يقبل قول من يطعن بهمــا . ثم أن قيصــر أكرم هيرودس بهدايا ثمينة فأقام فى رومية أياماً وعاد إلى أورشــليم وأستحضر بنيهِ الثلاثة مع شيوخ اليهود وقال لهم أن الله قد وسع

مملكتى وكبرها وقد رأيت أن أقسمها على أولادى الثلاثة بحيث لا يكون لواحد منهم على الآخر أمرٌ ولا معارضة فى شىء . فلم يجد ذلك نفعاً لأن انتيبطرس أراد أن يكون مستقلاً بالملك وكذلك إسكندر وأرسطوبولوس كانا يظنان بأنهُ ليس لأنتيبطرس حقٌ مثلهما أما هو فكان على جانب من الخبث فأقام عليهما رقباءِ بالأتفاق مع عمهِ فيروراس الذى كان يكرههما بسبب أمهما مريم وكانوا يخبرونهُ بكل شىء عنهما ولم يزل يستقصى أحوالهما ويوجه الوشاة إلى والدهِ إلى أن جعل أباه هيرودس يبغضهما فأمر بتقييدهما. وغذ بلغ ذلك أرخلاوس ملك كبدوكية وهو حمو اسكندر جاءَ إلى أورشليم قاصداً تخليص صهرهِ وكان رجلاً حكيماً فاصلاً فلما أجتمع بهيرودس تكلف أمامهُ السخط على إسكندر وهكذا كان يجتمع بهيرودس كثيراً إلى أن صار من أعز أصدقائهِ وفى ذات يوم بلّغهُ أمرا بنيه وبيَّن لهُ أن أتهاً به غير صحيح وأن الواشى هما فيروراس أخو هيرودس فبعد أن اتضحت الحقيقة باجلى بيان صفح هيرودس الملك عن والديهِ وأخيهِ وأطلقهما وهو بغاية السرور من الملك أرخلاوس وعندما أراد الرجوع أكرمهُ هيرودس بهبات كثيرة وأمر قوادهُ وأصحابهُ بأن يتحفوهُ بالهدايا والعطايا الثمينة ثم شيعهُ إلى بعدٍ وعاد إلى أورشليم .

فلما رأى التيبطرس أن أعمالهُ وتدابيرهُ ذهبت سدّى رجع إلى تدبير حيلة لقتل أخويهِ فدعا رجلاً من خواص أعوان هيرودس واعطاهُ أموالاً كثيرة وطلب إليهِ أن يهلكهما بحيلة بواسطة إقناع الملك بأنهما يريدان قتلهُ ولم يزل على هذا الجهد إلى أن غيَّر قلب هيرودس على ابنيهِ فسخط عليهما وأمر بأن

يقيـــدا ولمـــا مضى على إحدى القرى أخذهما مقيدين معهُ فرق من كان معهُ ولكـــنهُ لم يجســـر أحد أن يتكلم فى شأنهما غير أنهُ كان فى العسكر شيخٌ من القـــواد ولهُ ولد صديقٌ لإسكندر فلما رأى الشيخ سوءَ حال إسكندر وأخيه ســـاءَهُ ذلـــك جداً وصاح فى المعسكر قائلاً قد ذهب الإشفاق وقلت الرحمة وبطـــل الحق وتغيب العدل وعدم الانصاف من العالم . ثم قال لهيرودس يامن يبغض أحباءَهُ ويحب مبغضيه كيف غاب عنك الصواب مع معرفتك وفضلك حـــتى أصـــغيت إلى أعدائك الذين يحملونك على قتل أولادك وهدم أركانك ويـــريدون أن تـــبقى وحيـــداً فيقصـــدون هلاكك . فبادر أعداء إسكندر وأرسطوبولوس إلى الملك وقالوا لهُ أن هذا الشيخ لم يتكلم بهذا الكلام من حبه للملك ولبنيه ولكنهُ قد أظهر ما فى قلبه من البغض لك فأمر حينئذٍ الملك بقتل أرجـــل وبحمـــل ولديـــه اسكندر وأرسطوبولوس إلى بيروت وقتلهما هناك وصـــلبهما وكان ذلك سنة ٥ قبل ميلاد المسيح وخلف أرسطوبولوس ثلاثة أولاد منهم أغريباس وهو الذى ملك بعد بيلاطس البنطى الرومانى .

وفى هـــذه الســـنة أى السنة الخامسة قبل التاريخ المسيحى ظهر ملاك الرب لزكريا الكاهن وأخبرهُ بولادة يوحنا المعمدان كما سيذكر .

ولمـــا قـــتل إسكندر وأرسطو بولوس فرح انتيبطرس أخوهما ولكنهُ لم يكتفِ بذلك بل أراد قتل أولادهما أيضاً أما هيرودوس فلما استفاق من حماقته وعـــرف براءة ولديه حزن عليهما حزناً عظيماً وعزم على احتضان أولادهما فقـــال لفيروراس أخيه قد رأيت أن أتزوج ابنتك لتركان بن إسكندر وتضمهُ

إليـــك وقـــال أيضـــاً لانتيـــبطرس يا ابنى أريد أن أتزوج ابنتك لابن أخيك أرســـطوبولوس فلم يمكنهما رفض أمرهِ فأجابا بالقبول ثم ذهب التيبطرس إلى فيروراس عمهِ وحمل إليهِ أموالاً كثيرة وطلب إليهِ أن يحتال فى إبطال ما عقدهُ هيرودس من الزيجة بينهُ وبين تركان ابن إسكندر ففعل فيروراس ذلك ولم يزل إلى أن فســـخ الزيجة وأبطلها. وفى تلك المدة وجه هيرودس ابنهُ انتيبطرس إلى روميـــة ليســـلم على قيصر ويجدد معهُ عهداً فبعد مسيره بلغ هيرودس أن فيروراس أخاهُ عازماً على اهلاكه فتأثر من ذلك وإذ لم يتحقق هذا الأمر ابعدهُ وأمـــره أن يلزم بيتهُ ثم مرض فيروراس ولما أشرف على الموت كتب إلى أخيهِ المـــلك أن يســـير إليه ليراهُ قبل موتهِ فسار إليهِ ولما راهُ على تلك الحالة بكى ووعـــدهُ بمعاملة بنيهِ بالحسنى وبعد أن انصرف هيرودس مات فيروراس فأمر المـــلك بأن يدفن بأحتفال وأراد الملك أن يتحقق أمر أخيهِ فقبض على خدامهِ وجواريـــهِ وشدد عليهم فأقرت إحدى الجوارى بأن فيروراس وانتيبطرس كانا يجـــتمعان عند رسيس أم انتيبطرس حينما ينصرفان من مجلس الملك وقالت قد سمعت انتيبطرس يقول لفيروراس أن هذا الملك كالسبع الردى لا يرحم أحداً لأنـــهُ قـــتل امـــرأتهُ وأولادهُ وأقاربهُ فيجب أن نبتعد عنهُ لئَلا يفترسنا كغيرنا وعـــندما نتمكن من فرصة مناسبة ندبر على هلاكهِ وقتلهِ ومع أنهُ وعدنى بأن يسلمنى الملك بعدهُ فأنهُ كما تراهُ كالشاب القوى وأنا قد شبت ولا أدرى من يموت منا قبل الآخر وبنو بنيهِ المقتولين قد كبروا وهاهو يقربهم إليه وأنا أنهُ لا ينوى لى خيراً لأنهُ يبغض ويمقت كل أقاربهِ ومع أنك أنت أخوهُ فأنهُ قد مقتك وأبعدك عنهُ ولم يراعِ خدمتك لهُ وقد أمرنى بأن أهجرك ولا أكلمك.

فقال لــهُ فيروراس لقد أصبت فالأولى ان ندبر طريقة لهلكهُ بها قبل أن يتمكن من أهلاكنا . ثم قالت الجارية بأنهما أتفقا على أن يذهب انتيبطرس إلى روميــة ويقــيم فيروراس مع الملك فيحتال عليهِ حتى يقتلهُ ثم يعود انتيبطرس فيملك. فتأكد هيرودس كلام الجارية لأنهُ كان قد أمر انتيبطرس بأن لا يقول لعمه أنهُ وعدُ بالملك وكان ذلك سراً فحينئذٍ اطلق الجارية وقبض على خادم انتيبطرس وشدد عليهِ فأقر بأن سيدهُ انتيبطرس استحضر سماً من مصر ودفعهُ لفيروراس وقال لهُ متى مضيت أنا على رومية أحتل على الملك وأقتلهُ به فأخذ فيروراس السم واعطاهُ لأمراتهِ .

فعــند ذلك أمر الملك أمرأة أخيهِ باحضار ذلك السم فخافت وأخذت السم وطرحت ذاتها من مكان عالٍ لتموت فلم تمت فأُحضِرَت إلى هيرودس فأمرها أن تصدقهُ الخبر وتهددها بسوءِ العقاب ان لم تتكلم الصدق فقالت أيها الملك أن زوجي استدعاني في اليوم الذى مات فيه بعد ذهابك غليه ورجوعك وقــال لى قــد رأيت ما تفضل بهِ أخي عليَّ من محبيتهِ وبكائهِ لما رآني في حالة التــلف ومــا وعدني به من الجميل لمن اخلفهُ بعدى وقد كان ذلك الظالك انتيبطرس قد خدعني وكان يقويني فحملني على العزم على قتل أخي وأعطاني سمــاً قاتلاً لآقتلهُ بهُ وقد كدت افعل ذلك والآن أسرعي وأتيني بالسم الذى أعطاني إياهُ انتيبطرس الباغي واسكبيه أمامي لئَلا يظفر به انتيبطرس من بعدى فيقــتل أخي . ففعلت كما أُمرت وإبقيت من ذلك قليلاً لاريةُ لسيدى الملك إذا ســألني عنهُ ثم أخرجت السم فأمر هيرودس بحفظهِ وارسل أمرأة أخيهِ إلى منزلها وكتب على انتيبطرس يأمرهُ بالحضور من رومية بدون تأخر فحضر ومعهُ

رســول من قيصر فلما وصل إلى مدينة قيصرية بلغهُ موت عمه وسخط أبيه عــلى أمــه رسيس فخاف أن يكون أبوهُ قد أطلع على دسائسه ولم يجسر أن يتقدم وعزم على الفرار فمنعهُ من كان معهُ من خدام هيرودس وغلمانه خوفاً من الملك ولأنهم أرادوا أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم ثم قالوا لا نتيبطرس أن هربت تثبيت التهمات التى وقعت عليك فتمسى لا تقدر أن تنجو من يد أبيك فإنــهُ يطلبك حيثما توجهت فالأنسب أن تمضى إليه وتحتج عن نفسك فقبل انتيــبطرس قولهم ومضى إلى أورشليم فلم يستقبلهُ أحد لما بلغهم من غضب الملك عليه ولأنهُ كان مكروهاً لخبثه فلما رأى انتيبطرس ذلك تحقق غضب أبيه عــليه ثم دخل إليه فلما رآهُ أبوهُ حول وجههُ عنهُ وقال لهُ أبعد عنى يا فاقد كــل صلاح أذهب من وجهى أيها العارى عن الإنسانية وأحضر فى الغد مع رســول قيصر وأحتج عن نفسك أن كان لك حجة . وفى الغد أمر هيرودس بأحضار قواده وأصحابه فحضروا حسب رتبهم وحضر هوراس رسول قيصر ثم نظر هيرودس إلى رسول الملك أوغسطوس وقال لهُ هل سمعت يا هوراس ما فعــل أبنى انتيبطرس إذ طلب هلاكى وأراد قتلى فقال هوراس لا تعجل أيها المــلك وأبحث فتحقق الأمر ثم أمر هيرودس بأحضار الكتاب الذى كانت أم انتيــبطرس قد بعثت إليه به وأتى به إلى الملك قبل أن يصل لــهُ فقرئَ أمام الجمهور وما يأتى هو مضمونهُ . أنه قد أنكشف أمرك لدى الملك وعرف أنك عازم على قتله فإياك أن تعود إلى أورشليم بدون جيش جرار من الروم فأنك لا تخــلص منهُ إلا بمحاربته . ثم أمر الملك بإحضار انتيبطرس فلما حضر طرح نفسهُ على رجلى أبيه وبكى وكان يتضرع فأراد من حضر أن يتوسطوا أمرهُ فمنعهم هيرودس وأمرهم بالصمت ثم اقبل على هوراس وقال لهُ : لا يجوز لمن

وقف على أعمال انتيبطرس أن يرحمهُ وقد تمنيت أن أكون بدون ولد مثل هذا الظالم لأن ذلك خيرٌ لى من أن أقتلهُ ولقد علمت أننى قتلت ولديَّ ظلماً بسببهِ إذ خدعنى بحيلهِ ومكرهِ حتى قتلتهما وأحزنت نفسى وفرَّحتهُ وتكلم هيرودس كثيراً بمثل هذا الكلام ولما أمسك عن كلامهِ رفع انتيبطرس راسهُ عن الأرض قليلاً كالأسير وطفق يحتج عن نفسه حتى توهم كثيرون أنهُ مصيب فلم يتنازل هيرودس لمجاوبتهِ بل أمر كاتبهُ نيقولاوس أن يجيبهُ عمَّا تكلم فقال نيقولاوس لا يغـــركم أيهـــا الحاضرون كلام انتيبطرس وخضوعهِ فأن ذلك مكر وخبث وخـــداع وبمـــثل هذا الكلام قتل أخويهِ وغيرهما واحتال على فيروراس أخى الملك بما لا يشك فى صحتهِ .

وتكلم نيقولاوس كلاماً كثيراً فى هذا المعنى بيَّن بهِ ظلم انتيبطرس فقال هيرودس لرسول قيصر انتيبطرس هل بقى لهُ حجة يحتج بها فسالهُ الرسول فلم يجب بحرف ثم أمر بأن يقيد انتيبطرس فقيد وسجن وذلك سنة ٣ ق . م ولم يزل مسجوناً على أن أمر بقتلهِ كما سيأتى فى مكانهِ .

الفصـــــل العاشر

فيما أجرى السيد المسيح فى أورشليم

وما جرى لهُ فيها مدة تردده إليها [1]

أننا لا نعرف إلاّ القليل عن تاريخ السيد المسيح قبل أن شرع فى الوعظ والانـــذار وجل ما نعرفهُ عنهُ أنما هو ما ذكره الأنجيليون [2] من أنهُ فى السنة السادسة قبل التاريخ المسيحى إذ كانت نوبة زكريا الكاهن فى الهيكل ظهر لهُ مـــلاك الرب وبشرهُ بحبل امرأته اليصابات وأنها ستلد لهُ أبناً وأمرهُ أن يسميه يوحـــنا فأنكـــر زكريا ذلك قائلاً للملاك كيف يمكن أن يتم ذلك وأنا شيخ وامـــرأتى متقدمة فى السن فأجاب الملاك وقال لهُ أنا جبرائيل الواقف أمام الله أرسلت لأكلمك وابشرك بهذا وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليـــوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدّق كلامى الذى سيتم فى وقتهِ وكان كذلك فأن زكريا بقى صامتاً إلى أن ولد يوحنا .

---

(١) قـــد سردنا فى هذا التاريخ الحوادث بالتتابع حسب وقوعها وتاريخ حدوثها وإما سيرة السـيد المســيح فرأيـــنا من المناسب أن ندرجها وحدها بقطع النظر عمّا جرى من الحوادث معها فى ذلك العصر ثم نرجع إلى إدراج بقية الحوادث بعد ذلك كالماضى.

(٢) متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

وفى السـنة الخامسة ولد يوحنا وسموهُ أولاً بأسم أبيهِ زكريا أما أمهُ فلم تـرد هـذا الأسم بل قالت يُسمَّى يوحنا فاومأوا إلى أبيهِ ماذا يريد أن يسمّيهُ فأخذ لوحاً وكتب قائلاً أسمهُ يوحنا وحينئذٍ انفتح فمهُ ولسانهُ وتنبأ بأن يوحنا يتقدم أمام السيد المسيح ليعد طريقهُ .

وفى السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحى بينما كان رعاً متبدّون عند بيت لحـم يحرسـون حراسات الليل على رعيتهم ظهر لهم ملاك الرب وبشرهم بـولادة المسـيح معطياً لهم علامة قائلاً أنكم تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود . وظهر بغتةً مع الملاك جمهور من الجند السموى يسبحون الله قائلين . المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة . فأسرع الرعاة إلى بيـت لحم ووجدوا الطفل كما قال لهم الملاك فرجعوا فرحين وهم يسبحون الله. أما دخول المسيح إلى الهيكل المرة الأولى فكان لما تمَّت أيام تطهير مريم أمهِ حسـب شرعية موسى فأحضرهُ أبواهُ إلى الهيكل ليقدماهُ للرب فإذا شيخٌ تقىٌّ أسمـهُ سمعان قد أوحى إليه بالروح القدس أن لا يرى الموت حتى يعاين المسيح فـأخذ الطفـل على ذراعيهِ وبارك الله وقال الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام حسـب قولك لأن عينّى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددتهُ أمام وجه جميع الشعوب نورَ أعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل. وكانت أيضاً حنَّة النبيَّة الى وقفـت فى تلك الساعة تسبح الرب وتكلمت عنهُ مع جميع المنتظرين فداءً فى أورشـليم وتم ذلك بعد ولادتهِ بثمانية أيام . وفى ذات هذه المدة جاءَ أيضاً مجـوسٌ من المشرق إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمـهُ فى المشرق وأتينا لنسجد لهُ فلما سمع هيرودس ذلك أضطرب مع كل

أورشليم وجمع الكهنة والكتبة وسالهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا لهُ : فى بيت لحم لأنه هكذا تنبأت الأنبياءُ فدعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر لهم وأرسلهم إلى بيت لحم وأمرهم أن يفحصوا بتدقيق عن الصبى قائلاً متى وجدتموهُ أخبرونى لآتى أنا أيضاً وأسجد لهُ وكان عازماً على قتله . فذهب المجوس والنجم يتقدمهم حتى وقف فوق حيث كان المسيح فدخلوا البيت ورأوا الصبى مع مريم أمهِ فسجدوا وقدموا لهُ هدايا وإذ كانوا عازمين على الرجوع إلى هيرودس ليخبروهُ أُوحى إليهم فى حلمٍ أن لا يرجعوا إليه فساروا فى طريق أخرى إلى أرضهم . وأُوحى إلى يوسف فى حلمٍ أن يذهب إلى مصر خوفاً من هيرودس فأخذ الصبى وأمهُ وذهب بهِ إلى مصر .

أما هيرودس فلما رأى أن المجوس سخروا بهِ أرسل فقتل جميع الأطفال الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين وما دون حسب الزمان الذى تحققهُ من المجوس .

ثم بعد ذلك بزمنٍ يسير مات هيرودس الملك ميتة شنيعة كما سنذكر فتمكن أبوا يسوع من أن يرجعا بهِ إلى وطنهما آمنين ولكنهما عوضاً عن أن يقطنا بيت لحم مدينة داود العظيم الشأن قطنا قرية الناصرة الحقيرة وهناك أخذ ينمو ذلك الصبى العجيب يوماً فيوماً إلى سن الرجولية فى خلوةٍ تحت مآوى الفاقة والفقر آمناً من حسد الحكام والولاة الأرضيين ومقاومتهم وكان مكباً على إطاعة شريعة موسى الألهية ضمن عائلة مشهورة بعظم التقوى وكان ينمو ويتقوّى ممتلئاً حكمةً بمناجاتهِ مع أبيهِ السموىِ وكانت لهُ تلك الخلوة

كمدرســـة رائقـــة استعد فيها على هدّوٍ استعداداً باطنياً لذلك العمل العظيم الذى جاءَ لأجلهِ وكان معاً أن يجريهُ فى باقى حياته والذى أثرت نتائجهُ وأى تـــأثير فى جميع أمم الأرض وشعوبها وأحوالها وعاداتها . وقد سكت الأنجيليون عن ذكر بقية أخبار يسوع قبل شروعه فى عمله العظيم علناً ولم يذكروا سوى حادثـــةً واحـــدة أخبرنا بها لوقا البشير بقوله ولما كانت لـــهُ أثنتا عشرة سنة صـــعد مـــع أبويـــه إلى أورشليم كعادة العيد وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمهُ لم يعلما وإذ ظناهُ بين الرفقة ذهـــبا مســـيرة يومٍ وكانا يطلبانه بين الأقرباءِ والمعارف ولما لم يجداهُ رجعا إلى أورشـــليم يطلـــبانه وبعد ثلاثة أيامٍ وجداهُ فى الهيكل جالساً فى وسط المعلمين يســـمعهم ويســـألهم وكل الذين سمعوهُ بهتوا من فهمهِ وأجوبتهِ فلما أبصراهُ اندهشا وقالت لهُ أمهُ يا بنيَّ لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذّبين فقال لهما لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنهُ ينبغى أن أكون فى مالابى .

ويـــوم الأثنين فى ١١ نيسان من سنة ٣٠ دخل يسوع أورشليم دخولاً حافلاً وكان يحتف به جمعٌ كثيرٌ من الناس فدخل الهيكل ليطرد منهُ الذين كانوا قـــد جعلوهُ مكاناً للبيع والشراءِ وكان الجموع يصرخون قائلين أوصناً مبارك الآتى باسم الرب .

ويــوم الخميـــس فى ١٤ نيسان من السنة المذكورة دخل أورشليم وفى طريقة لعن شجرة التين [١].

ويــوم الجمعة فى ١٥ منهُ أخذهُ الجند إلى بيلاطس البنطى الذى بعد أن رآهُ أرســلهُ إلى هــيرودس انتيباس ثم أرجعهُ ثانيةً إلى بيلاطس وحينئذٍ صلُب ويــوم الأحــد قــام من الموت وفى صباح ذلك النهار إذ كانت مريم المجدلية وغيرها آتين لينظرنَ القبر وجدن ملاكاً جالساً أمامهُ وأخبرهنَّ بقيامه المسيح مــن الأموات. وبعد ذلك ظهر لهنَّ ثم لتلاميذهِ مرات كثيرة وبعد قيامتهِ من القــبر بأربعين يوماً ظهر بتلاميذهِ أيضاً فى أورشليم وأخذهم إلى جبل الزيتون ومــن هناك صعد إلى السماءِ ولم يزل الموضع الذى صعد منهُ معروفاً إلى الآن ومن أراد أن يعرف عن تعليمهِ وأعمالهِ بأكثر تفصيل فعليهِ بمطالعة الأنجيل [٢].

---

(١) مــر ١٢ : ١٣ ــ ١٤ .

(٢) هذا الباب منقول من نص الأناجيل وجميعها متضارب فى نسب المسيح .

الفصـــــل الحادى عشر

حالة أورشليم

عند موت هيرودس الكبير وخلافه أبنهِ أرخلاوس

فلـــنرجع الآن إلى مـــا كنا فى صدده فنقول : أنهُ فى السنةْ الرابعة قبل الـــتاريخ المسيحى أى السنة التى ولد المسيح فيها مرض هيرودس الملك وكان مرضـــهُ يزداد يوماً فيوماً فطلب الموت ليستريح من أوجاعهِ ولم يفز بهِ ثم أنهُ طلب تفاحة وسكيناً يقشرها بيدهِ ولما أخذ السكين رفعها بيدهُ ليقتل نفسهُ بها فـــبادر الغلمان إليهِ وأخذوها منهُ فعلاً الصراخ بسبب ذلك فظن الناس أن الملك مات فبلغ انتيبطرس وهو فى السجن ذلك فسر وفرح وطلب من الموكل بـــه أن يطلقهُ فلم يجسر أن يطلقهُ قبل أن يتحقق موت الملك فلما علم الموكل به أن الملك حىٌّ ذهب إليه وأخبرهُ بأمر انتيبطرس وما أظهر من سرورهِ إذ بلغهُ خبر موتهِ فغضب وأمر بقتلهِ فقتل وأمر أن يمحى أسمهُ من كتاب العهد ويكتب مكانـــهُ أرخـــلاوس بن هيرودس ليكون لهُ الملك بعد موته ثم مات بعد قتل انتيبطرس بخمسة ايام ولهُ من العمر ٧٠ سنة وكانت مدة ملكه سبعاً وثلاثين سنة وكان ملكاً مهاباً ذا سطوة وقد كان مع ذلك عسوفاً متمرداً. وقد قتل فى حياتـــه مـــالا يحصى من الأنفس وكان قد أوصى أبنهُ أن يقتل بعد موتهِ جميع

المسجونين ليكون البكاء عمومياً فى كل منزل لأنهُ كان يعلم أن الناس يسرون بموته . غير أن أبنهُ خالف هذا الأمر وأطلق جميع المسجونين .

وبعـــد موت هيرودس قرأ نيقولاوس كتاب العهد على جمهور الأهالى وفيـــه خـــتم الملك وأن أرخلاوس يتولى الملك بعده فملكوهُ عوضاً عن أبيهِ ومضـــوا هم وإياهُ ودفنوا الملك وكانوا قد وضعوهُ فى سرير من ذهب مرصع بالجواهـــر النفيسة والبسوهُ تاج الملك وأمسكوهُ صولجان الذهب بيدهِ وسار بنوهُ أمامهُ وكانت الجنود سائرة معهم بأسلحتهم فدفن بإكرام وإحترام .

أما أرخلاوس فملك سنة ٣ بعد المسيح وإذ كانت أخلاق أبيهِ ذميمة خاف كثيرون أن يكون كابيهِ فنبذوا طاعتهُ فقتل منهم جمعاً وذهب منهم قوم إلى أوغســـطس وأخـــبروهُ بمـــا كان يجرى فى أيام هيرودس وطعنوا فى أبنهِ أرخـــلاوس وقـــالوا لهُ أنهُ قتل كثيرين منا وقد ملك بغير أمرك وأكثروا من الطعـــن فيهِ وطلبوا إليهِ أن يملك عليهم ولاة من أصحابهِ وكان أرخلاوس قد مضـــى أيضاً هو ونيقولاوس كاتب أبيهِ فتكلم نيقولاوس أمام قيصر وقال أن اليهود لا يريدون أن يملك أرخلاوس لأنهم يريدون أن يعصوا الرومان ولو لم يكـــن ذلـــك كذلك لما تمنعوا عن الخضوع لابن هيرودس الذى كان طائعاً للرومان فقبل أوغسطس كلامهُ وأتفق مع الشيخ الذى فى رومية على تثبيت أرخـــلاوس فى المـــلك خاصةً لأنهُ كان قد ورد خبر إلى قيصر بأن اليهود قد عـــزموا على مخالفة الروم فتوجه وأمرهُ بالرجوع إلى أورشليم فلما تم لهُ الملك اساءَ السيرة بين اليهود وفعل أفعالاً قبيحة منها أنهُ قتل ثلاثة آلاف من رعاياهُ

فى وقــت واحــد وتزوج بأمرأة أخيه إسكندر المقتول فلما بلغ قيصر أفعالهُ الذميمة أرسل أحد قواده وقبض عليه وذهب به إلى رومية ثم نفى إلى فيانا من أعمال فرنسا حيث بقى على أن مات وكانت مدة ملكه سبع سنين .

وبعد أرخلاوس ملك فى أورشليم قائد رومانى يدعى بوبليوس وذلك ســنة ١٢ ميلاديــة وبعدهُ تولى ولاة رومانيون غيرهُ إلى أن تولى بيلاطس البنطى الذى فى أيامه صُلب المسيح كما ذكر وسيأتى الكلام بهذا الشأن .

الفصـــــل الثانى عشر

حالة أورشليم

مدة تولى بيلاطس البنطى عليها وتولى غيره من الولاه الرومانيين

ولاة الجليل الذين هم من نسل هيرودس الكبير

وســـنة ٢٦ بعد المسيح ولّى طيبار يوس قيصر الرومانى بيلاطس البنطى على اليهودية وأرسل معهُ مثالهُ ليقيمهُ فى أورشليم ليعبدهُ الناس وأصحبهُ بأمر إلى اليهـــود فيهِ يعرض عليهم بأن يسجدوا لهذا الصنم . وبعد أن نصبهُ قتل كـــثيرين من الذين لم يسجدوا لهُ وقد حاول جلب الوية وبيارق رومانية إلى أورشـــليم لكـــن اليهود قاوموا ذلك . وأشتكى لهُ اليهود فى سنة ٣٠ على المسيح قائلين أنهُ قال أنى ملك اليهود وإذا أحضر إلى بيلاطس ولم يجد فيه علة تستحق الموت أخذ ماءً وغسل يديهِ وقال أننى برئٌ من دم هذا الصديق. وفى عيد الفصح إذ كان معتاداً أن يطلق لهم مسجوناً من ارادوهُ سالهم من تريدوا أن أطـــلق لكـــم يسوع أو باراباس (أحد المسجونين بسبب سرقةٍ) فأجابوا باراباس فأطلقهُ وأما يسوع فسلمهم إياهُ للصلب .

وسنة ٢٧ ميلادية كان هيروس انتيباس ابن هيرودس الكبير والياً على الجليل وكان محباً لرعاياهُ وهو الذى بنى مدينة طبريا وتزوج بابنه أرتياس ملك العــرب ثم طــلقها ونتج من ذلك بينهُ وبين أبيها حروب كثيرة ثم أنهُ تزوج بهيروديا امرأة أخيه فيلبس إذ كان لم يزل حياً وقد ضادَّ يوحنا بن زكريا بحرارةٍ هذا الزواج وبسبب مقاومته أمر بسجنهِ وذلك سنة ٢٨ ميلادية.

وسنة ٢٩ ميلادية إذ كان تذكار مولدهِ رقصت ابنه هيروديا امرأة أخيه فيلــبس فســرت هيرودس ولذلك وعد بقسم أنهُ يعطيها كل ما طلبت وإذ كانت قد تلقنت من أمها طلبت رأس يوحنا المعمدان بن زكريا فأرسل وقطع رأســه فى الســجن فأُحضر على طبق ودُفع لها وإذ بلغ ذلك تلاميذهُ تقدموا وأخــذوا الجسد ودفنوهُ . ثم أن الدولة الرومانية نفت هيرودس المذكور إلى ليــون مــن فرنســا لأنهُ أُتهم بالمداخلات فى مؤامرات سرية وذلك سنة ٣٩ ميلادية .

وبــين ســنة ٣٠ و ٣٧ ميلادية بعد صعود المسيح إلى السماء أجرى تلاميــذهُ أموراً وعجائب كثيرة منها أنهُ إذ وشى بهم إلى رئيس الكهنة وأتباعهُ فى أورشــليم وسجنوا ففى الليلة التى سجنوا فيها أتى ملاك الرب من السماءِ وأخرجهم من السجن والأبواب مغلقة وأمرهم أن يبشروا بالمسيح علانيةً فى وســط الهيكــل فكــان كما أمرو فى اليوم الثانى إذ طلب رئيس الكهنة أن يحضــروهم أمام المجمع ومشيخة بنى إسرائيل ذهبوا إلى السجن فرأوا الأبواب مغلقة ولم يجدوا أحداً فيه فلما سمع رئيس الكهنة وقائد الجند أرتابوا من ذلك .

وفى ذلـــك الوقت أتى رجلٌ وأخبرهم بأن الذين سجنتموهم بالأمس هم الآن فى الهيكـــل يعلمون الشعب فأحضروهم وقالوا لهم ألم نقل لكم أن لا تبشروا بهـــذا الاســـم فقالوا لهم ينبغى أن يطاع الله أكثر من الإنسان فحنقوا عليهم وأرادوا قتـــلهم وكان حاضراً رجلٌ اسمهُ غمالائيل فأشار عليهم بأن يتركوهم قائلاً أن كان هذا من الله فلا يمكنكم أن تقاوموهُ وإن كان من الناس فسوف يتلاشى من ذاته .

وفى ســـنة ٣٧ ب ٠ مْ أقـــام اليهود أضطهاداً على الكنيسة وقتلوا اســـطفانوس رجماً بالحجارة (ولم يزل الموضع الذى رجموهُ به معروفاً إلى الآن يقصـــدهُ الســـياح) وإذ كان هذا الأضطهاد شديداً التزم جميع الذين أمنوا بالمســـيح مـــا عداً تلاميذهُ الأثنى عشر أن يتشتتوا فى كور اليهودية والسامرة وكانت الرسل تجرى عجائب كثيرة .

وفى هـــذه الســـنة : إذ كـــان وزير كنداكة ملكة الجيش قد سجد فى أورشـــليم بيـــنما هو راجع لاقاهُ فيلبس بأمر ملاك الرب إلى الطريق وبشرهُ بالمسيح فأمن. ثم عمدهُ واختطف عنهُ ولم يعد يراهُ أما فيلبس فوجد فى أشدود.

وسنة ٣٨ بعد الميلاد إذ عامل بيلاطس السامريين معاملة ظالمة طُلِب إلى رومية وحكم عليهِ بالنفى إلى فيانا من فرنسا ويظن أنهُ قتل نفسهُ ياساً وخيبةً .

وفى هذه السنة : ملك فى أورشليم كرسى اليهودية هيرودس أغر يباس حفيد هيرودس الكبير وكانت ولادتهُ سنة ٧ قبل المسيح وموتهُ سنة ٤٤ بعد

المسيح وقد تربى في رومية وملكهُ أوغسطس قيصر فسرّ حكمهُ اليهود ولأجل أرضائهم قتل يعقوب الرسول أخا يوحنا وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس الرسول ليقدمهُ ضحيةً لهم بعد الفصح فخلصهُ ملاك الرب من السجن [1] وإذ كان يقام العابٌ فى عيد إكراماً لقيصر آتى إليه أهالى صور وصيدا يلتمسون رضاهُ لأنهُ كان ساخطاً عليهم فصفح لهم. وفى يوم معين توشح بملابسهِ الملكية وخاطبهم من عرشهِ فمجدوهُ كاله فقبل ذلك بفرح وبسبب افتخارهِ ومات للحال ميتة شنيعة سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة التى بها قتل يعقوب وسجن بطرس المذكورين وقد حكم سبع سنين .

وسنة ٤٠ ميلادية أمر كليغولا بترونيوس الوالى أن يضع تمثالهُ فى هيكل أورشليم ويتوسط هيرودس أغربباس بطل هذا الأمر .

وفى سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة الثانية من ملك نيرون قيصر قتل يوثار رئيس الكهنة ومات فستس فثار اليهود على من كان فى القدس من النصارى وهدموا البيعة وأخذوا الصليب ودفنوهُ فى الأرض وأخرجوا النصارى من القدس لعشرٍ من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هناك وكان ذلك واسطة لخلاصهم من حرب تيطس .

وسنة ٤٥ ميلادية تولى اليهودية كوسيبوس فارس الرومانى من قبل الدولة الرومانية وفى أيامه حدثت مجاعة عظيمة فى كل اليهودية .

---

(١) سفر أعمال الرسل الإصحاح الثانى عشر .

وســـنة ٤٦ ميلاديـــة طُلب إلى رومية وقد ولّت الدولة الرومانية على اليهودية تيباريوس اسكندر عوضاً عنهُ .

وسنة ٤٧ ب ٠ م تولى وانتيديوش كومانوس اليهودية وقد حدث فى أيامه أضطرابات كثيرة وإذ لم يحسن السياسة أرسلت الدولة الرومانية عوضهُ فيلكس الوالى وذلك سنة ٥٣ ميلادية .

وســـنة ٥٨ ميلادية للمسيح رجع بولس الرسول إلى أورشليم بعد أن كـــان جائلاً من مكان إلى آخر مبشراً بالمسيح ولما دخل الهيكل وكان يبشر هـــاج الشعب عليهِ وضربوهُ ثم أخرجوهُ خارج الهيكل وعزموا على قتله وإذ بـــلغ الأمير ذلك أخذ عسكراً وسار إليهم فلما رأوهُ كفوا عن ضربهِ ثم أمر الأمـــير أن يقيـــد بالسلاسل ويؤخذ إلى المعسكر وبعد أن أحتج بولس لدى الشـــعب ولدى المجمع عزم اليهود على عمل كمينٍ لقتلهِ وإذ بلغ ذلك الوالى أرســـلهُ ليلاً مع مئَتى عسكرى وسبعين فارساً ومئَتى رامح إلى قيصرية [1] إلى فيـــلكس الوالى وقد ابتدأت الفتن التى كانت بداية خراب أورشليم من أيام

---

(١) وهى قيصرية فلسطين كانت مقراً لولاية فلسطين الرومانية بعد سقوط أورشليم . حسَّن بـــناءَها ووسعها هيرودس الكبير سنة ٣٣ ق ٠ م وسميت قيصرية فلسطين تمييزاً بينها وبـــين قيصرية فيلبس التى تسمى الآن بانياس وهذه أى بانياس موقعها فى أعلى الحولة يخرج منها النهر البانياسى من مغارة كانت مكرسة لمعبودٍ من معبودات الرومانيين أسمه يان ومن ذلك تسمية المكان بان ياس ويصب هذا النهر فى بحيرة الحولة وفيها آثار هيكل بناهُ هيرودس ملك أورشليم على اسم أوغسطس قيصر وفيها أيضاً قلعة من بناء العرب مبنية من الحجارة الصلبة والكبيرة .

أغريـــباس بن أغريبا ابن أرسطوبولوس وكان حدوثها فى جميع بلدان اليهودية وفى بلاد الشام ودامت واتصلت وتحرك المتغلبون والخوراج [١] وزاد الشرق والفسق وربطت الطرق وكان الشر يزيد والخير يقل داخل المدينة وخارجاً بين اليهـــود وبـــين الرومانيين وكانوا يقتلون بالسكاكين كثيرين بحيث لا يعرف القـــاتل مـــن الازدحام ولما كثر الشر لم يعد أهل الصلاح يريدون السكنى فى أورشـــليم فأجتمع كثيرون وخرجوا بما لهم فذهب قوم من الأشرار وأخبروا فيلكس صاحب الرومان بأن قوماً من اليهود خرجوا من أورشليم ولم يخرجوا إلا لأنهـــم يريدون أن يعصوا على الرومان فوجه فيلكس قوماً فقتلوا أكثرهم وأســـروا من بقى وكان ذلك الوقت كاهنٌ كبيرٌ على اليهود اسمهُ حنانى ولهُ ولـــد اسمهُ العازر كان جباراً شجاعاً فاتكاً وكان قد انضم إليهِ كثيرون نظيرهُ فكـــانوا يمضـــون إلى مدن سوريا وينهبون ويقتلون ما شاءُوا فلما اكثروا من القتل والنهب والفساد استغاث السريان بفيلكس [٢]صاحب الرومان فاحتال فيلكس عليهِ وقيدهُ وأرسلهُ إلى رومية وقتل أصحابهُ وبعد مدة عاد العازر إلى أورشليم . وذهب اغريباس ملك اليهودية إلى رومية ليسلم على نيرون قيصر فحدثـــت فى غيابـــهِ حروب كثيرة بين اليهود الذين كان فى مقدمتهم العازر والرومانيين أتباع فيلكس وذلك لأن فيلكس جار على اليهود وظلمهم وبعد حـــروب كـــثيرة غلبوهُ وهزموهُ وقتلوا كثيرين من أتباعهِ وطردوا من بقى فى أورشـــليم فسار فيلكس إلى مصر والتقى هناك باغريباس راجعاً من رومية إلى

(١) وهم ثلاثة العازر ويوحانان وشمعون وكان لكلّ منهم حزبٌ .

(٢) عاملٌ على معاضدتهِ فى سبيل انفاذ مآربهِ وكانوا سبباً لحزب أورشليم .

أورشليم ومعهُ قائدان رومانيان ومعسكر عظيم فأخبرهُ فيلكس بما جرى عليهِ وعلى أصحابهِ من العازر ورفاقهِ وبعد ذلك سار اغريباس إلى أورشليم فأستقبلهُ الأهالى بكل إكرام ولقبهم اغريباس بالجميل وسالهم عن أحوالهم فأخبروهُ بما فعل فيلكس بهم وطلبوا أغاثتهُ على الرومان وقالوا لهُ أننا لا نطيعهم فيما بعد ولا نخضع لأوامرهم فأغتم اغريباس لسبب الضيق الذى جرى عليهم وشق عليهِ مخالفتهم الرومان لأنهم بذلك يعرضون أنفسهم للهلاك فلطف بهم وسكتهم بسبب الرومان الذين جاءوا معهُ دخل الهيكل وكان الشعب يضج بالعصيان عليهم فأمر اغريباس أن يسكت الجمع ثم قال لهم قد فهمت ما فعلوا بكم ولكن لا حيلة لنا بهم ولا بد لنا من مداراتهم لأن الله قد سلطهم على الدنيا بأسرها وأذل لهم جميع الأمم وما نحن أقوى من جميع الذين خضعوا لهم وإذا أظهرتم العصيان تحركون قيصر إلى محاربتكم لأن الجميع يطيعونهم وليس الروم مثل العرب والسريان وأهل أدوم الذين حاربتموهم وعرفتم قتالهم بل هم أشد باساً من جميع الذين حاربتموهم وأن أتكلم على حصونكم فما هى أعظم من الحصون التى قد فتحوها . ومع ذلك فأنا أكتب إلى قيصر بما فعلهُ أصحابهُ وأطلب إليهِ أن يرسل اليكم من خيار قوادهِ ويأمرهم بأن يحسنوا إليكم والصواب أن تقيموا على ما كنتم عليهِ من الطاعة لهُ . وأنتم تعلمون أن قوماً بينكم يريدون الشر ويسرهم أن تحدث الفتن حتى يسرعوا اليها فإذا سهلتم السبيل لذلك قويت شوكتهم وانبسطت أيديهم على أهل الخير فأهلكوهم ثم تنالون ما تكرهون وتبلغ اعداؤكم فيكم ما لا تحبون فتندمون حيث لا ينفع الندم ثم بكى اريباس أما العزر بن حنانى الكاهن وأصحابهِ فلم يقبلوا بذلك وأضمروا مخالفة الرومان . وفى ذلك الوقت أرسل

نـــيرون قيصر هدية إلى بيت الله حسب ما كان ملوك رومية يفعلون فأخرج العـــازر تلك الهدايا وطرحها خارجاً ومضى مع أصحابهِ وقتلوا القواد الذين جاءُوا مع اغريباس وقتلوا من كان فى أورشليم من الرومان ولم يعلم اغريباس بذلك لأنهُ كان مقيماً مع عسكرهِ خارج المدينة فلما علم شيوخ المدينة وأكابر الـــناس بذلك استعظموا الأمر وخافوا من عاقبتهِ وكتبوا إلى اغريباس يعلمونهُ بذلـــك فأرسل إليهم قائدين ومعهما ثلاثة آلاف رجل فأسعفوا شيوخ المدينة وكـــانت حـــربُ دامت سبعة أيام فظفروا بالعازر وأتباعهِ فانهزموا إلى فسحة الهيكـــل فتبعوهم وهناك جرى قتالُ عظيمُ فالتحمت السيوف والحراب بينهم واشتدت وكان مع أصحاب العازر جماعة يحملون سكاكين فدخلوا بين القوم والقـــوم لا يعـــلمون أن معهم سلاحاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهرب رجال اغريـــباس والشيوخ وأهل السلامة وأقاموا خارجاً مع اغريباس . فقويت يد العزر وحرق قصر الملك وقصر أبيهِ واستولى على المدينة .

ولمـــا رأى اغريـــباس ذلك ذهب إلى نيرون قيصر وأخبرهُ بما جرى فغضب وكتب إلى كسبينا صاحب جيشهِ يأمرهُ بالمسير مع اغريباس إلى القدس ليرد اليهود إلى طاعتهِ وكان كسبينا فى الشام راجعًا منصوراً من حرب العجم وقـــد بـــلغهُ مـــا فعلهُ العازر من مخالفتهِ قيصر فغضب من ذلك ولما جاءَ إليه اغريـــباس وأخبرهُ بما أمرهُ قيصر بهِ عن مسيرهِ معهُ لمحاربة اليهود فرح كسبينا بذلـــك لأنـــهُ كـــان يريد الأنتقام من اليهود فجمع عساكر كثيرة وسار مع اغريـــباس وحرق مدن اليهود التى كانت فى طريقهِ وقتل أهلها ولما وصل إلى أورشـــليم لقيـــهُ العازر فتحاربا وكانت الغلبة لكسبينا واغريباس وبعد ذلك

طلـــبوا من العازر الصلح فأمتنع وقتل الرسل ثم جمع رجالهُ ومن أنضم اليهم وخرج فى اليوم الرابع من المدينة وقتل من الروم ألوفاً كثيرة فلما رأى كسبينا شدة باس اليهود خاف ولما صار الليل فرَّ برحالهِ بعد أن أمر نحو أربعين رجلاً أن يشـــعلوا الـــنار وينفخوا فى الأبواق الليل كلهُ ليظن اليهود أنهُ باقٍ أمام المديـــنة. فلما علم العازر بذلك خرج فى أثرهم إلى قيصرية فحاربهم وهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فهرب كسبينا ومن بقى من ارفاقهِ إلى رومية .

الفصـــــل الثالث عشر

حالة أورشليم

فى ابتداءِ دخول وسبسيانس الرومانى إليها

وسنة ٤٧ ب ٠ م لما وصل كسبينا ومن معهُ إلى رومية وأخبروا نيرون قيصــر بذلــك عظم عليهِ الأمر. وفى ذلك الوقت ورد إليهِ خبر بأن الفرس عصــت عــليهِ بعد رجوع كسبينا فقلق من ذلك . وكان قبل ذلك قد وجه قــائداً عظــيماً يقال لهُ وسبسياس إلى بلد المغرب والأندلس ففتحها وأستولى عليها ثم عاد إلى رومية فى ذلك الحين فأمرهُ أن يسير بجنوده إلى اليهود ويفنيهم ويخــرب بلدانهم ويهدم حصونهم المنيعة فسار وسبسيانس من رومية ومعهُ ابنهُ تيطــس واغريباس الملك فى عسكر كبير فيهِ أكثر فرسان الرومان وشجعانهم وجــبابرتهم فلما أنتهوا إلى انطاكية بلغ اليهود ذلك فتهيأُوا لمحاربتهم وقسموا بلادهــم ثلاثــة أقسام وأختاروا ثلاثة من الكهنة الشجعان وأصحاب الرأى الحسن فالأول من هؤلاءِ الثلاثة يوسيقوس الكاهن أى يوسف بن كربون وهو يوســيفوس المــؤرخ الصادق الشهير والثانى حنانى الكاهن والثالث العازر بن حــنانى وجعلوا الكل من هؤلاء قسماً من الأقسام التى قسموها وأعطوا ذلك بالقــرعة فكــانت أورشليم وكورتها لحنانى الكاهن الأكبر . وبلاد أدوم لأبنهِ

العـــازر وطـــبرية وجـــبل الجـــليل ليوسيفوس فقوى أمر هؤلاءِ الثلاثة بالمال والعساكر والسلاح وتوجهوا إلى إصلاح مراكزهم .

وفى هـــذه المـــدة إذ كان نيرون قيصر قد أصدر أمراً بأن يسجد لـــهُ كمعـــبود تمنع اليهود عن ذلك وأرسلوا إليهِ إلى رومية رجلاً فاضلاً اسمهُ فيلو وقـــالوا لهُ لا يمكننا أن نسجد لغير الله ولا نعبد سواه فأستشاط نيرون غيظاً واسمـــع فيلو كلاماً مهيناً فخرج وأخبر اليهود رفقاءَهُ بما جرى فأجتمعوا مع اليهـــود الذيـــن فى رومية وطلبوا إلى الله أن ينجيهم من هذه البلية ففى اليوم الثالث ثارت جيوش نيرون عليهِ لشدة ظلمهِ وهجمت عليهِ وقطعتهُ بالسيوف وطرحـــتهُ أمـــام الكـــلاب ولم يدفن وملك بعدهُ غلبا قيصر فأحسن إلى فيلو وجماعـــتهِ وأذن لهم بالرجوع إلى أورشليم فرجعوا ثم هدموا ما كان أصحاب نيرون قد بنوه من المذابح ومحوا أثارها وكان ذلك سنة ٦٨ ب • م .

أما حنانى الكاهن أحد القواد الثلاثة فأنهُ عمر أسوار أورشليم ورفعها وجعـــل فيها الرجال والعِدَد الكثيرة . وأما يوحانا الخارجى فدخل أورشليم وأجـــتمع إليـــه قـــومٌ فقوى بهم وانبسطت يدهُ على أهل المدينة وقبض على أصـــحاب الأمـــوال وأخـــذ أموالهم وأرتكب القبائح وطلب إلى الشيوخ أن يســـعفوهُ عـــلى تنفيذ مآربهِ ولما أمتنعوا عن اطاعتهِ قتل كثيرين منهم فتمنى الشـــعب أن يأخذ الرومان المدينة ليستريحوا من شرهِ فلما عظم أمرهُ أجتمع رؤساء المدينة الذين كانوا مع حنانى الكاهن وأنضم إليهم قومٌ فحاربوا يوحانا وعظمت الحرب بينهم وكثرت القتلى من الفريقين فأنهزم يوحانا وأصحابهُ إلى

القدس وتحصنوا فيه فكره حنانى أن يقام قتال فى بيت الله ولذلك أمر رجالهُ أن يكفوا عن القتال بعد أن وكل نحو ستة آلاف بحراسة يوحانا حتى إذا خرج هو أو أحد أتباعهِ يقبضون عليه وطلب حنانى من يوحانا الصلح فأبى لأنهُ آتى من أدوم نحـــو ٢٠ ألف رجل بالسلاح والعدد فأغلق حنانى أبواب المدينة وسالهم مـــن داخـــل السور عن مرادهم فقالوا أننا أتينا لنسجد لله وكان أهل أدوم يحفظـــون دين اليهود من عهد الملك هركانوس فقال ولِمَ أتيتم بهضا السلاح فقـــالوا خوفـــاً من الرومان فأجابهم قائلاً قد بلغنى أنكم قادمون لمعونة يوحانا فـــالأولى بـــأن تعيـــنوا أهل الصلاح على قوم الفساد لأنهم قد ظلموا وقتلوا وأرتكبوا الحرام وجرى بينهما كلام طويل .

قال يوسيفوس وبينما هما يتكلمان عند المساءِ وإذا برعد عظيم وبرق هائل وأصوات مخيفة ومطر كثير وبرد كبير تتطاير منهُ شرارات نارٍ محرقة فلم يســتطع حنانى الثبوت على الحسن فرجع إلى منزلهِ ولما بلغ يوحانان الخارجى رجـــوع حـــنانى عن الحصن ورجوع المحافظين على القدس مضى هو ورجالهُ وكســـروا الأبواب وأدخلوا الأدوميين فصاروا معهم وقتلوا نحو خمسة آلاف من المدينة ونهبوا ماشاءُ وفى تلك الأيام ظهر شمعون الخارجى وفعل كيوحانان فطـــردهُ حنانى من المدينة فمضى إلى إحدى الضيع وأجتمع إليه نحو ٢٠ ألفاً فلما بلغ أهل أورشليم ذلك أرسلوا جيشاً لمحاربتهِ فهزمهم وكسرهم ورجعوا إلى أورشليم .

ثم جاءَ شمعون إلى أورشليم وحمل عليها فكان يوحانان يحارب أورشليم مـــن داخـــل وشمعون يحاربها من خارج ثم طلب إليهِ أهل أورشليم أن يدخل المدينة ويسعفهم على يوحانان ظناً منهم بأنهُ يكفيهم شرهُ فدخل المدينة بعد أن عاهدهم على أن يحسن السيرة معهم ويعينهم على يوحانان فلما دخل المدينة نقض عهدهُ واضرَّهم ولم ينفعهم وحدثت حروب طويلة بينهُ وبين يوحانان .

وســـنة ٦٩ ميلادية ورد خبر لوسبسيانس أن أوثون الذى ملك بعد غلـــبا قيصر قد مات وأن أصحابهُ ملكوهُ عليهم فرجع إلى رومية وأخذ معهُ نصف عسكرهِ بعد أن سلم قيادة النصف الآخر لأبنهِ تيطس .

الفصل الرابع عشر

حالة أورشليم

فى حصار تيطس وحروبها الداخلية

وعظمت الحروب واشتدت الفتن ولم تقطع بين يوحانان وشمعون لا صحواً ولا ليلاً ولا نهاراً وكان العازر بن حنانى وهو من الخوارج الثلاثة غائباً فرجع فى ذلك الوقت . وكان هؤلاءِ الخوارج الثلاثة يحاربون بعضهم بعضاً ويحاربون شعب اليهود أيضاً حتى كانت أورشليم ميدان حرب متواصلة فكثرت القتلى فى الشوارع والأزقة وفى نفس القدس ولم تعرف كميتهم وكثرت دماءُ المقتولين فاكتسبت الأرض دماءَ وكانت جثث القتلى تتساقط بعضها على البعض الآخر فأنتنت المدينة وكثرت بها الأمراض الوبائية وهكذا كان فى المدينة أربع آفات عظيمة وهى القتل والحريق والجوع والمرض فكره الناس الحياة وتمنوا لأنفسهم الموت وسنة ٧٠ ميلادية إذ كان تيطس يرغب فى إنهاءِ حرب اليهود ليسير إلى أبيهِ وكان وقتئذٍ مقيماً فى قيصرية مضى بستمائة فارس إلى أورشليم لينظر حصونها وأحوال المدينة فرأى أن أبوابها مغلقة فرجع إلى عسكرهِ وكان قد بلغ قدومه مع قوماً من الخوارج فكمنوا لـهُ فى إحدى المواضع ولما وصل نهض الكمين إليهِ وجرت بينهما حربٌ فلم ينجُ من الهلاك إلاّ بصعوبة كلية وبذلك الوقت شاهد من بسالة اليهود ما لم يكن ينتظرهُ .

وفى اليـــوم الثانى زحف تيطس بجيوشهِ على أورشليم ونزل بعسكرهِ عـــلى جـــبل الزيتون ليكون وادى يهوشافاط فاصلاً بينهُ وبين اليهود ورتب عســـاكرهُ وأمـــرهم بالتعاون والتعاضد وقال لهم : أنكم ستحاربون قوماً لم تقاتلوا مثلهم وقد شاهدت أمس من شجاعتهم ما دلنى على عظم باسهم ولما أصـــبح أهل أورشليم ونظروا جيوش الرومان فى جبل الزيتون أجتمع رؤساء الخـــوارج وأعتصبوا على الرومان وعزموا على اخماد نيران الحروب الداخلية ثم اجـــتمعوا وخـــرجوا إليهم وحدثت حرب مهولة قتل فيها خلق كثير من الفـــريقين وأنتصـــر الرومان على اليهود فرجعوا إلى المدينة ثم أرسلوا جيشاً لمحاربتهم من الجهة الأخرى ليجعلوهم فى الوسط فتم ذلك وفاز اليهود فى تلك المعركة وثبت تيطس ذلك اليوم بعد أن قُتِل من رجالهِ كثيرون ثم عاد اليهود إلى أورشليم ونقض الخوارج المعاهدة التى كانت بينهم لأن يوحانان كان يريد الرياســـة وشمعـــون والعـــازر لم يوافقاهُ. وإذا كان الفصح دخل يوحانان مع أصـــحابهِ إلى القدس مجرّدين عن السلاح الظاهر متقلدين بأسلحة خفية فسر الـــناس بقدومهـــم ولم يظنوا بهم السوء فلما توسطوا القدس اشهروا السلاح وأخـــذوا فى القتل بدون رحمة ولا شفقة وهكذا أشتدت الحرب داخل القدس بين الخوارج وإذ بلغ تيطس ذلك زحف بعساكرهِ إلى المدينة فتقدم إليهِ قوم من اليهود وقالوا لـــهُ : أننا نفتح لك الأبواب بشرط أنك لا تسيءَ إلينا وتخلصنا مـــن هـــؤلاءِ الخـــوارج فلم يثق تيطس بكلامهم لما كان قد رآهُ من خبثهم. وجرت واقعة بين اليهود والرومان بدون أمر تيطس فأنكسر الرومان ورجعوا إلى معسكرهم .

ثم تقدم تيطس وكانت اليهود مشتغلة بمحاربة بعضها بعضاً فكان متى رأى الخــوارج أن الرومان تقدموا إلى المدينة وقوى أمرهم يرفعون الحرب من بيــنهم ويحاربون الرومان وبعد أن يهزموهم يعودون إلى محاربة بعضهم بعضاً فجــرى أمــرهم على هذا المنوال أياماً . ثم وجه تيطس نيكاتور أحد قواده لــيخاطب اليهــود بالصلح فرماهُ بعضهم بسهمٍ قتلهُ بهِ فغضب تيطس وأمر بإحضار الكباش وآلات الهدم وصنع أبراجاً من خشب تسير بعجلات فحارب اليهود وشدَّد الحصار فلما عظم الأمر عليهم اصطلحت أحوالهم وخرجوا إلى الرومان فحاربوهم وحرقوا الكباش والآلات وتلك الأبراج وقتلوا منهم جماعة وأبعدوهم عن الحصون ثم رجعوا إلى محاربة بعضهم بعضاً وقويت الفتن وشغلوا عــن محاربة الرومان. ثم جدد تيطس الكبش وأمر أن تدفع على السور دفعة قويــة فسقط جانبٌ منهُ فهرب من كان داخلهُ إلى السور الثانى وكان للمدينة ثلاثة أسوار الواحد بعد الآخر ثم أمر تيطس أن ينقل السور الذى هدم إلى بعدٍ ليوســعوا تلك الثلمة ويتمكنوا من القتال فلما رأى الخوارج أن السور الأول قــد هــدم جــددوا الصلح وتعاهدوا برفع الحرب من بينهم ونهضوا لمحاربة الــرومان ففرقوا أصحابهم من كل الجهات وأشتد القتال بين اليهود والرومان وعظــم الخطــب لأن تيطس تولى قيادة الجيش بنفسهِ وكان يشجع أصحابهُ ويعدهم بالجوائز وكان شمعون ينادى بأن من انهزم قتل فكانت الحرب شديدة وأمر تيطس بدفع الكباش على السور الثانى فانهدم منهُ جانب وبادر اليهود إلى المواضع التى هدمت فثبتوا هناك ولم يدعوا الرومان يدخلون. وفى اليوم الرابع ورد إلى تيطس جيش عظيم من أمم أجتمعوا إليهِ فخرج اليهود لمحاربتهم فلم يكن لهم طاقة على الثبات فكسروهم الرومان وأرجعوهم إلى الحصن فدخلوا

وأغلقوا الأبواب . وفى تلك الأيام أى فى شهر تموز ابطلت الذبيحة الدائمة .
أمـــا تيطس فبعد هذه النصرة أمسك عن الحرب خمسة أيام وأحب أن يلاطف اليهـــود ويرجعهم إلى طاعته آمنين فراسلهم بذلك فلم يجيبوا طلبهُ ثم ركب تيطـــس وتقـــدم إلى الحصـــن فوجد يوحانان وشمعون وأصحابهما قد خرجوا لـــيحرقوا الكباش وغيرها من آلات الحرب التى صنعها الرومان لهدم الحصن فـــبادر إليهـــم ولا طفهم وحياهم بالسلام وقال لهم : قد رأيتم ما صنعنا وقد هدمنا سورين ولم يبق إلاّ سور واحد هَدْمُهُ سهلٌ علينا فأرجعا إلى ماكنتم عليه قـــبل أن نـــأخذ المديـــنة بالسيف ونهدم الهيكل. وبعد أن خاطبهم كثيراً أمر يوسيفوس أن يخاطبهم بهذا الشأن وكان (يوسيفوس قد أسر فى الحروب التى جرت بين تيطس واليهود فى الجليل) فتقدم إلى الحصن وأخذ يخاطب الشعب ويحـــثهم على الطاعة وقال لهم : أنكم أن لم تطيعوا لهم تصبح مدنكم مدثورة ونســـاءكم أرامـــل ورجـــالكم قتلى ويهدم القدس فلما سمع الخوارج كلامهُ شتموهُ وأسمعوهُ القبيح ورموهُ بالحجارة فتباعد عنهم قليلاً وأغلظ لهم الخطاب وبعـــد أن تكلم طويلاً بالقساوة قال لهم : أيها الأخوة إلا تشفقون على هذا القـــدس الشريف فأن كنتم لا تشفقون عليه فأشفقوا على أنفسكم ونسائكم وأولادكم لأنكم أن لم تسلموا فلابد من هدم مدينتكم وإبادتكم فتندمون إذ لا يـــنفع الندم فأن كنتم تظنون أننى أخدعكم وأريد أسعاف الرومان عليكم فأنكم تعلمون أن أبى وأمى وزوجتى وأولادى عندكم فإن ظهر لكم من تيطس بعد طاعتكم لهُ ما يخالف كلامى فأقتلوهم وأقتلونى فقد رهنت دماءَهم ودمى على ذلك . ثم بكى يوسيفوس بكاءً شديداً وكان تيطس يسمع كلامهُ فرق لهُ قلـــبهُ وأمر بإطلاق كل الأسرى من اليهود فرغب أكثر أهل المدينة فى طاعة

تيطس وآثر بهم كلام يوسيفوس وعملوا على قبول كلامهِ فمنع الخوارج ذلك وشددوا التحفظ على الأبواب وأمروا البوابين أن يقتلوا كل من أراد الخروج من اليهود إلى الرومان فأشتد الحصار وقل الطعام وأشتد عليهم الجوع وكان الخــوارج يأمرون أصحابهم بتفتيش منازل الناس وأخذ ما يجدون عندهم من الطعــام وقــتل من يمانعهم فكان يحتال كثيرون من اليهود بالخروج إلى ظاهر المديــنة ليتناولوا شيئاً من نبات الأرض ليقتاتوا بهِ ، وكان الرومان يقتلون من يجدونــهُ ويصــلبونهُ فلما رأى الخوارج ذلك أقبلوا هم أيضاً يقتلون كل من ظفــروا بهِ من اليهود الذين أرادوا أن يستأمنوا للرومان ويصلبوهُ على سور المديــنة لينتظرهم الرومان فقتل بذلك خلق كثير فرقَّ قلب تيطس لهم ونهى أصــحابهُ عن صلب من يقبضون عليهِ وخاطب تيطس اليهود بالحسنى وكان يحسن إليهم وكان الخوارج يزيدون بذلك قساوة ويشتمونهُ ويخاطبونهُ بالقبيح وكان قصدهم بذلك أغاظتهُ لينقطع عن مخاطبة أهل المدينة خوفاً من أن يميلوا إليهِ .

فلما رأى تيطس أن كلامهُ وترفقهُ لم يأتيا بنتيجة عمل على هدم السور الثالث وفتح المدينة ليخلص أهلها من أولئك الخوارج القساة فقسم عسكرهُ أربعة أقسام وجعلهم فى جهات المدينة الأربع ونصب كباشاً ليضرب بها السور فخــرج إليهم الخوارج وأصحابهم كالذئاب وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى جرت الدماءَ كالسيل وكانت جثث القتلى كالتراب فحرق اليهود الكباش مع جميع آلاتها وقتل جمعٌ كثيرٌ من الفريقين فنظر الرومان فى ذلك الوقت من اليهود ما هــالهم وولوا مدبرين فردهم تيطس وشجعهم وقال لهم إلى أين أنتم منهزمون

أيــن شجاعتكم إلا تخجلون من الانهزام بعد هدمكم سورين من أسوار المدينة ولم يبق إلاّ سور واحد وقد هلك أكثر أهل المدينة من السيف والجوع وليس لهــم معين من جهة ونحن عساكرنا متواثرة ولنا أمم كثيرة تعيننا ومتى انتصرنا عــليهم نحصل بذلك على الفخر العظيم ولكننا أن انهزمنا من أمامهم فيلحق بــنا عار لا يمحى مدى الأدهار ثم أتفق رأى تيطس وقواده على ترك المحاربة وأن يحاصــروهم ويضيقوا عليهم إلى أن يقهرهم الجوع فيخرجوا إليه ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة فضاق الأمر على اليهود وأشتد الجوع وكان ذلك سبب فتح المدينة .

وســعى قوم من الأشرار بأمتاى الكاهن إلى شمعون الخارجي وذكروا عــنهُ أنهُ يريد أن يستأمن للرومان فأمر شمعون بالقبض عليهِ وعلى بنيهِ وكانوا ثلاثــة فقبضوا عليهم وأتوا بهم إلى شمعون فأمر بقتلهم فطلب أمتاى أن يقتلهُ قــبل أولادهِ فــلم يفعل ثم تضرع إليهِ أن يمكنهُ من ضمهم إليهِ وتقبيلهم قبل موتهــم فــلم يقبل بذلك حينئذٍ خاطب أمتاى شمعون خطاباً أظهر بهِ قساوتهُ وإنكــارهُ الجميــل وقال فيهِ أن التسليم للرومان أخير من البقاء فى أورشليم وفضــل الموت على مشاهدة خراب الهيكل وكان خطاباً طويلاً فلما فرغ من كلامهِ أمر بقتل أولادهِ ثم بقتلهِ وطرحهم إلى خارج الحسن . ثم أمر بقتل حنينا وهو من أجلاءِ الكهنةِ وأمر بطرح جثتهِ على جثة أمتاى وقتل أرسطو الكاتب وخمســة عشــر من كبراءِ الأمة وصلحائهم وقتل أحد عشر رجلاً من أعيان المديــنة لأنهُ بلغهُ أنهم أنكروا قتل أمتاى وقتل يهوذا رئيس الآلف وجماعة معهُ لأنهم أرادوا أن يستأمنوا للرومان لَما رأوا من فعلهِ مع أمتاى وغيرهِ ولما رأى

العـــازر فعلْ شمعون أيقن بخراب المدينة فخرج منها وأقام فى بعض المواضع إلى أن أنصرف تيطس . ولما طال الحصار على المدينة فنى كل شىء كان فيها من القـــوت فأكلت الناس الجيف ودبيب الأرض وكان من يملك على قليل من الحنطة يخاف أن يطحنهُ أو يخبزهُ لئَلا يعلم بهِ غيرهُ فيأخذهُ منهُ فكانوا يأكلون الحـــنطة حباً ويسفون الطحين ويتخاطفون اليسير إذا وجدوهُ فلا يأمن الأب أبنهُ ولا البنت أمها فعظم الجوع والقحط وأشتد الأمر فمات كثيرون وأشتغل الأحيـــاءُ بأنفســـهم فـــلم يدفنوا موتاهم وكان بعضهم يرمى موتاه فى الآبار وبعضـــهم يحفـــر قـــبراً لنفسهِ وينام فيهِ إلى أن يموت وبطل البكاء وانقطعت الأصـــواب وزال الحنوُّ وعدم الرثاءُ وأمتلأت المنازل والشوارع والأزقة من الجثث وكان الخوارج يرمون الموتى من السور إلى الوادى حتى اجتمعت منهم تلالاً فمر تيطس ورأى ذلك فاستعظم الأمر ورفع يديهِ لحو السماءِ وقال اللهمَّ لا تقـــم علىَّ خطية لأن هذا الفناءَ قد جلبهُ رؤساءُ اليهود وقد استدعيتهم إلى الصلح مراراً وبذلت جهدى لذلك ولم يقبلوا . ولما طال الحصار جاع الخوارج وأصـــحابهم وأذاقهـــم الله ما أذاقوهُ للناس فأكلوا الحب الذى يوجد فى زبل الحيوان وجلود البهائم المائتة ثم أكلوا ما يوجد من الجلد على سروجهم على ســـيوفهم وكـــانوا يطلبوا شيئاً من النبات فلم يجدوا لأن الرومان قطعوا كل الأشجار التى كانت حول أورشليم وكان حولها بساتين كثيرة من كل جهاتها مســـافة أميال فكان متى أقبل إليها الإنسان يرى أحسن منظر وكان كل من يعرف ما كانت عليهِ وما هى فيهِ يبكى ويتحسر .

وفى ذلـــك الوقت كانت امرأة تدعى مريم ولها ولد وحيد فلما أشتد عليهما الجوع قبضت باليسرى على ناصيتهِ وباليمنى على السكين وذبحتهُ بعد أن قـــالت لهُ أيها الولد المنكود الحظ لماذا أبقيك هل لتموت جوعاً أو لتموت فريســـة الرومان ثم شوت منهُ جزءاً وأكلت فلما أشتم الخوارج رائحة اللحم بادروا مسرعين إلى المرأة فلما وقفوا على حقيقة الأمر أستعظموا ذلك فقالت لهـــم :خـــذوا وكلوا لستم أحن من أمهُ التى ذبحتهُ بيدها . وهذا كافٍ لتبيين الشـــدة والضيق اللذين نزعا من الوالدين حاسيات الحنو والشفقة، ولما شاع هذا الخبر فى المدينة أيقن الأهالى بصحة النبوات عن خراب المدينة فخرج فى ذلك الوقت إلى الرومان جمع كثير فأمر تيطس أصحابهُ بالإحسان إليهم وكانوا كثيرين رجالاً ونساءً وأولاداً ففعل أصحاب تيطس كما أمرهم وكان كثيرون مـــنهم لا يقـــدرون أن يفتحوا أفواههم وكثيرون لما أكلوا الطعام ماتوا وكان الأولاد يخطفون الطعام وينهشونهُ ثم يموتون للحال فلما بلغ تيطس ذلك دعا إليهِ يوسيفوس وأمرهُ أن يعولهم فسقاهم اللبن وأعتنى بهم فعاش كثيرون منهم وكـــان بعض من خرج إلى عسكر الرومان من اليهود قد ابتلع ذهباً لتخلصهُ لنفســـهِ وإذ كـــان أحدهـــم يفتش ما برز منهُ ويأخذ ما كان بلعهُ رآهُ بعض الســـريان فأخـــبر رفيقـــهُ فقتلا اليهودى وأخذا ما كان معهُ وفشا ذلك بين السوريين والعرب فكانوا يقتلون كثيرين لأجل ربح المال فلما بلغ تيطس ذلك أمر بنفى العرب والسريان من معسكرهِ . ولما علم الرومان بسوءِ حال اليهود وفـــناءِ أكـــثرهم تقدموا إلى السور الثالث ونصبوا عليه الكباش ليهدموهُ فلم يكن للخوارج قوة على حرقها كما فعلوا فيما تقدم إلا أنهُ مع ما هم عليهِ من الضـــعف واليـــأس قاتـــلوا قتالاً شديداً وقتلوا جماعة كثيرة فعند المساءِ عاد

يوحانان وأصحابهُ إلى المدينة لضعفهم فدفع الرومان الكباش على السور فى الليل فهدموهُ وصرخوا عند ذلك صراخاً عظيماً وأقاموا مكانهم إلى الغد فلما اصبحوا نظروا وغذا قبالة ذلك الموضع الذى أنهدم من السور سور جديد بناهُ اليهود تلك الليلة وذلك لما رأوا أنهم لا يقدرون على حرق الكباش عزموا على بناءِ سور آخر داخل الأول فلما رأى الرومان ذلك استعظموا فعل اليهود وأيسوا من فتح المدينة فجعل تيطس يشجعهم ويحثهم على الثبات ويبشرهم بعدم متانة السور الجديد وبعد ذلك هجم الحبيشان بعضهم على البعض الآخر وأشتد القتال فتغلب اليهود عليهم وهزموهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً فكلت الرومان من محاربة اليهود وأرادوا الأنصراف فلما علم تيطس بذلك جمع أصحابهُ وجعل يشجعهم وقال قد قرب الفرج فلا تضعف قواكم عند بلوغ الأمل ولا تضيعوا ما تكبدتموهُ من الأتعاب باطلاً . وأنتم قد أتيتم إلى هذه الأمة لتعيدوها إلى الخضوع كما كانت وقد صبرتم على محاربتها طول هذه المدة حتى هلك رؤسائها وشجعانها وخربتم حصونها وافنيتم عساكرها بالجوع والسيف ولم يبقَ منها غير شرذمةٌ تسير كالموتى فإن رجعتم عنهم تكونون قد أضعتم أتعابكم باطلاً وأى ذكر جميل يخلد لكم فى بطون التواريخ بعد أنهزامكم وكنتم قد عزمتم على تملك المدينة فى أيام نيرون قيصر وعزمتم على تملك المدينة فى أيام نيرون قيصر وعزمتم على أنكم لا ترجعون إليه إلاَّ منصورين مكللين بالغلبة وأعلام النصر ترفل فوق رؤوسكم فلما ملك وسبسيانس الذى هو أشجع من نيرون وأعظم بأساً منهُ علمتم على الرجوع فأى عذر يكون لكم عند الوصول إليهِ وأية حجة تحتجون بها أمامهُ .

فـــلما سمع القوم كلام تيطس تشجعوا ولما كان فى مساءِ اليوم الثانى أجتمع نحو عشرين رجلاً من شجعانهم وعملوا على الدخول إلى المدينة بجماعة مـــن العساكر فصعدوا إلى ثغرة السور ودخلوا المدينة لأن اليهود كانوا نياماً لشدة تعبهم وجوعهم ولما دخلوا صرخوا فأستيقظ اليهود ولبثوا فى مواضعهم وسمع تيطس صوت أصحابهِ فعلم أنهم ملكوا بعض المدينة فمضوا مع جماعة من رجالـــهِ ووقف عند السور إلى الغد وحينئذٍ التقى اليهود مع الرومان وجرى قـــتال أنهـــزم فيهِ اليهود إلى القدس وتبعهم الرومان فأقتتلوا فى صحن القدس الخـــارجى بالسيوف قتالاً عظيماً لم يسبق لهُ نظير لأن الجميع يئسوا من الحياة وأرادوا المـــوت وأمتلأ صحن القدس من الدم واستظهر اليهود على الرومان فهـــزموهم وأخرجوهم من القدس وحينئذٍ أمر تيطس بهدم بناءً كان متصلاً بالقدس ليتسع مرسح القتال على جنودهِ .

وإذ كان قد آن عيد اليهود أجتمعوا إلى القدس حسب عاداتهم فتقدم تيطـــس إلى القـــدس ومعـــهُ يوسيفوس فأستدعى يوحانان ورؤساءَ الخوارج وخاطبهم بصوتٍ عالٍ قائلاً أخبرونى يا معشر اليهود أخبرونى ما الذى الجاكم إلى خـــراب هذه المدينة وهذا الهيكل المقدس فأشفقوا عليهِ فقد علمتم أننى لا أريـــد خـــرابهُ وإذا كنـــتم تريدون الحرب فأخرجوا إلى الصحراءِ لنحاربكم واظهـــروا هناك شدة بأسكم ووفور شجاعتكم ونزهوا هيكل الله عن الحرب ووقروهُ ولا تنجسوهُ بسفك الدم ولا تعطلوا منهُ القرابين والعبادة فأننا لا نريد ذلـــك ولا نقصد محاربتكم من أجلهِ فقال يوحانان إيها الملك لا شئ أجل من لحومنا ودمائنا لنقربهُ قرابين فى هذا الهيكل فقال تيطس كيف تطمعون أنفسكم

أنكـــم تكونـــون عند الله كقرابين مع أنكم عصيتم أوامرهُ وخربتم قدسهُ . وخاطـــبهم تيطس بمثل هذا الكلام كثيراً وكان يوسيفوس يترجم قولهُ ويبكى بكـــاءً شـــديداً وينتحب متحرقاً ثم قال لهم أنى لست أعجب من خراب هذا الـــبيت وهـــذه المدينة لعلمى أن مدتها قد أنتهت لكننى أعجب منكم وأنتم تقـــرأون كـــتاب دانيـــال النبى وتعلمون ما ذكرهُ من ابطال الذبيحة وزوال الـــتقدمة وترون ذلك قد صح وثبت . فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا كلام يوسيفوس ولكن كثيرين من كبراء اليهود خرجوا إلى تيطس فأمنهم فلما عـــلم الخـــوارج بخروجهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم . ولما علم تيطـــس أن الخـــوارج يمـــنعون القوم عن الخروج إليه تقدم ومعهُ يوسيفوس ليخاطب اليهود ويستعطفهم فلما رى اليهود يوسيفوس بكوا وأستعذروا لعدم تسليمهم للرومان وشكو من ظلم الخوارج الذين لم يسمحوا لهم بالخروج وإذ سمـــع الخـــوارج ذلك تبادروا إلى اليهود ليقتلوهم فهجم الرومان لخلاصهم وهجمـــوا على اليهود فى القدس فقاتلوهم قتالاً شديداً فأنهزم الرومان وهربوا إلى قـــدس الأقـــداس فتبعهم اليهود إليه وقتلوهم وإذ بلغ تيطس ذلك صاح بيوحانان وكان داخل قدس الأقداس وقال لهُ يا يوحانان ألم يكتب فى التوارة أن الغريب الذى يدخل إلى هذا الموضع الأقدس يقتل ولم يؤذن بالدخول إليه إلاّ لـــلكاهن الأكبر وذلك مرة واحدة فى السنة وأما أنت أيها المتعدى شرايع الهـــك فـــلم يكفك إنك دخلت فقط ولكنك سفكت فيه دماءَ الغلف ودماءَ اليهود أخوتك وقد علم الله أننى لا أريد خراب هذا البيت ولكن أعمالكم هى الـــتى تخربهُ ولما رأى تيطس أن القوم لا يسمعون لكلامه استدعى ثلاثين ألف رجل أشداء وأمرهم أن يدخلوا صحن القدس ويحاربوا اليهود وأراد أن يدخل

هو أيضاً فمنعهُ قوادهُ لئَلا يقع فى المهالك وطلبوا إليهِ أن يقف فى مكان مرتفع لـــيراهُ جيشهُ وتشتد قلوبهم بهِ وأتفق رأيهم أن يكبسوا اليهود فى الليل فلما عـــلم اليهود عزمهم لم يناموا تلك الليلة فلم يتم للرومان ما أرادوا وفى الغد تفرق اليهود ووقفوا على طرق القدس فضبطوها وحاربوا الأعداءَ حرباً قوياً وأشـــتد القـــتال وأســـتظهرت اليهود على الرومان فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأبعدوهم عن القدس وحينئذٍ أمر تيطس أن يكفوا عن محاربتهم لعلمهِ أنهم لا يجدون ما يأكلون وإن الجوع يغنيهم وفى ذلك الوقت لم يجرِ بينهما قتال وكان اليهـــود لشـــدة الجوع يخرجون إلى معسكر الرومان ويسرقون ما يجدون من الـــدواب ليأكـــلوا وإذ بلغ تيطس ذلك أمر بحرس معسكره وكان حينئذٍ قد انـــتقل من جبل الزيتون لقرب المدينة وكان قد تبقى لهم مواشٍ ودواب كثيرة هـــناك مع بعض الحراس وكان تيطس قد بنى فى وجه القدس حائطاً خوفاً من مهاجمـــة اليهـــود معسكرهُ إذ كانوا قد خرجوا مرات كثيرة فمشى قوم من أصحاب الخوارج وهدموا الحائط وخرجوا منهُ إلى جبل الزيتون وقتلوا بعض الحراس وأخذوا المواشى والحيوانات وكان الرومان يقاتلون أولئك وقد أسروا واحـــداً مـــنهم . وكان رجلٌ مع اليهود اسمهُ يوناثان فلما رأى صحابهُ أسيراً غضـــب واخذتهُ الحمية وذهب على معسكر الرومان ونادى بأعلى صوتهِ من كـــان مـــنكم جباراً فيبرز إلىَّ لأريهُ شجاعتهُ ولو لم نساعدكم نحن على قتل رجالنا لما قدرتم على غلبتنا فبرو إليه أحد شجعان الرومان فقتلهُ يوناثان فأغتم الـــرومان لقـــتله . وتشامخ يوناثان وأعتز طرباً وجعل يطلب من يأتيه ليقاتلهُ فرماهُ رومانىٌّ بسهم فقتلهُ به . ولما رأىاليهود انهُ قد انهدم سور المدينة وسور القـــدس وتمـــلكهُ الرومان دبروا على إهلاك جماعة منهم وكان قصر بقرب

القـــدس بـــناهُ سليمان الحكيم بن داود فطلوا هذا القصر بالنفط والكبريت والقار وأخفوا فيهِ رجلاً ثم خرج اليهود فى الليل إلى القدس وحاربوا الرومان الذين فيهِ فأجتمع عليهم كثيرون غيرهم فانهزم اليهود ودخل الرومان القصر وكانوا ينظرون إلى حسن صناعتهِ فأشعل ذلك اليهودى القصر وفر فأشتعلت النار فى جوانبهِ وقويت فكان من انحدر منهُ يقتلونهُ بالسيف ومن بقى فيهِ تأكلهُ الـــنار وبلغ ذلك تيطس فجاءَ بعسكرهِ ولم يمكنهُ إطفاءُ النار وتخليص أحد . فخاف الرومان من اليهود وحيلهم وخرجوا من القدس على خيامهم .

وبعـــد ذلـــك أمر تيطس جميع جيشهِ أن يحاصروا المدينة ويحيطوا بها ويضيقوا عليها من غير أن يتعرضوا لمحاربتهم فلما طال الحصار مات أكثر من بقـــى منهم وخرج أصحاب الخوارج إلى تيطس فقبلهم. ثم دخل الرومان إلى المدينة والهيكل فلم يكن من يمنعهم وكان تيطس قد أوصى قومهُ بأن لا يحرقوا القدس وكان بابهُ مصفحاً بالفضة فجاءَ الرومان واحرقوهُ ليأخذوا الفضة التى عـــليه فـــلما فتح دخلوا إلى القدس ونصبوا خيامهم فيهِ وقربوا ذبائحهم إلى تيطـــس ملكهم وكانوا يفترون على الهيكل ويتكلمون بالفظائع فلما علم من بقـــى من اليهود ذلك هجموا فى الليل على الذين فى القدس وقتلوهم ولما بلغ تيطـــس ذلك جاءَ بعسكرهِ وقتل أولئك . وفى الغد أجتمع الرومان وحرقوا بـــاب قدس الأقداس وكان كلهُ مغشًى بصفائح الذهب ولما سقطت الأبواب صرخوا صراخاً عظيماً فأسرع تيطس ليمنعهم عن إحراقه فلم يتم لهُ ذلك لأن الأقدام كانت مزدحمة والضجيج كثيراً فلم يكن من يسمع وقتل فى ذلك اليوم من عسكرهِ جماعة وذلك لأنهم دخلوا قدس الأقداس بحدة وحنق عظيمين بعد

أن كـــان قـــد أصدر أمراً بمنعهم عن الدخول ولم يمتنعوا . ولما دخل تيطس الهيكل ورأى قدس الأقداس وبهاءَهُ أخذهُ العجب والدهشة وقال حقاً أن هذا البيت الجليل ينبغي أن يكون بيتاً لله ولقد أحسنت الأمم فى تعظيمها وتكريمها لهُ وحملها الهدايا إليهِ ثم اشتعلت النار فى القدس وقويت على جميعهِ . ولما علم الكهنة بدخول الرومان إلى قدس الأقداس ليحرقوهُ جاءُوا مستقتلين فحاربوا الرومان إلى أن لم يبقَ لهم حيلة فزجوا أنفسهم فى النار وقالوا لا عيش لنا بعد حرقهِ .

ولمـــا علم اليهود الذين تبقوا فى المدينة أن قدس الأقداس قد أحترق مضـــوا وحـــرقوا كـــل ما كان فى المدينة من القصور الجميلة مع ما فيها من الذخائـــر والأموال. وفى ذلك الوقت ظهر رجل يدعى النبوة وقال : أن هذا الـــبيت يبنى كما كان بدون شغل إنسان بل بقدرة الله فأستمروا على ما أنتم عـــليهِ وإذ سمـــع اليهود ذلك أجتمعوا وقاتلوا الرومان فظفروا الرومان بهم وقتـــلوهم بأسرهم وقتلوا كثيراً من اليهود الذين كانوا قد أمنّوهم فتم خراب هذه المدينة فى اليوم العاشر من شهر آب سنة ٦٧ بعد الميلاد وهدمت الأسوار والحصـــون إلى الأرض وأبقـــى ثلاثة من حصونها المنيعة لترى الصعوبات التى صادفها الرومانيون حتى تغلبوا عليها . وقال تيطس عندما نظرها ما من شىء ســـوى القـــدرة الإلهية جعلتنا أكفاءً لأخذ هذه المدينة . ثم أمر بأن تجر سكّة الفلاحة فيها إشـــارة على تتميم خرابها وتم بذلك قـــول النبى ميخا ص ٣ ، ع١٢ أن صهيونَ ستفلح كالحقل .

أمـــا عدد اليهود الذين هلكوا فى هذا الحصار فهو إحدى عشرة كرة وعدد الأسرى سبعة وتسعون ألفاً وحسب عدد المقتولين فى كل هذه الحرب فبلغ أربع عشر كرة وأثنتين وستين ألف نفس اى مليون و ٤٦٢ ألف نفس. وهكـــذا كـــانت نهايـــة حروب اليهود حينئذٍ مع الرومان . ثم طلب شمعون ويوحانـــان الخارجيـــان من تيطس الآمان فأجابهما قائلاً أنى راسلتكما بذلك مـــراراً وخاطبتكما شفاهاً إشفاقاً على شعبكما ومدينتكما وتمنعتما عن القبول والآن بعـــد أن خـــربت المدينة وهلك أكثر أهلها تطلبان الآمان . وبعد ذلك اختـــبأ الخـــوارج فى المديـــنة ولما رأى أتباعهم ذلك ذهبوا إلى تيطس فأمنهم وحينـــئذٍ أستولى على كل المدينة وهدم سور صهيون ولما طال على يوحانان الاستتار وأشتد الجوع والعطش لبس لباس الملك وذهب إلى معسكر الرومان فاستهابوهُ وطلب الذهاب إلى تيطس ولما حضر أمامهُ أغلظ بالكلام عليهِ وأمر بـــأن يقيَّد ويوضع فى المعسكر. وخرج هوشع الكاهن بمنارتين ومائدتين وأوان كثيرة ذهبية وأخذها إلى تيطس . وفى ذلك الوقت قبض على فنحاس صاحب الخزائن وطالبهُ بما تحت يدهِ فسلمهُ كل شيء ثم رحل تيطس بالأموال والغنائم مـــن أورشـــليم متوجهاً إلى رومية. أما العازر أحد الخوارج فلما بلغهُ ارتحال تيطس من أورشليم عمر قرية ماصيو وحصنها بالأسوار وأقام فيها فبلغ ذلك قومـــاً فساروا إليه فأتصل خبرهم بتيطس وكان وقتئذٍ فى الطاكية فخاف أن يقوى أمرهم فوجه قائداً من قوادهمِ سلوالس فجاءَ القائد إلى ذلك الحصن فى عسكر كبير وحاصرهُ إلى أن فتح وخرج العازر وأصحابهُ إليهِ واقاموا حرباً عظيمة دامت على أن خيم الظلام ولم يدع العازر وأصحابهُ الرومان يدخلون الحصن وفى تلك الليلة جمع العازر رجالهُ وقال لهم أسمعوا يا ذرية إبراهيم أنكم

طالما قهرتم الأمم وغلبتم الممالك وظفرتم بالأعداء وأما الآن فقد انعكست أحوالكم ومالك إلاّ بمخالفتنا ناموس الهنا والآن قد غلبتنا الأعداء ولا حيلة لنا بالغلبة بعد أن خربت حصوننا وقتلت رجالنا والآن عليكم أن تختاروا أحد أمرين فأما أن تسلموا إلى أعدائكم وترتضوا بالذل والهوان وأما أن تزهدوا فى الدنيا وتتشجعوا فى الموت فتكونوا بذلك قد أكملتم الشجاعة وعزة النفس وخلصتم من إذلال الأعداء وأعلموا أن الموت فى العز خير من الحياة فى الذل وبعد أن تلا عليهم خطاباً طويلاً بهذا الشأن عزم الجميع على قتل أولادهم ونسائهم فى الصباح وطرحهم فى الآبار وبين الردم وإن يقاتل الرجال حتى الفنا فكان كذلك إذ قتلوا أولادهم ونساءهم وتقدموا لمحاربة الرومان فقتلوا منهم جمعاً غفيراً ولم يكفوا القتال إلى أن لم يبق منهم أحد وهكذا تم خرابها ورجع من بقى من الرومان إلى بلادهم.

الفصـــــل الخامس عشر

حالة أورشليم

بعد أن خربها تيطس إلى تولى الإمبراطور أدريانوس

وخرابهِ إياها تماماً

وبعد خراب أورشليم هذا انكسرت شوكة اليهود وضعفت قوهم فرجع النصارى من عبر الأردن وبنوا كنيسة وسكنوا فى القدس وكانت تبنى رويداً رويـــداً إلى أن أعـــاد بناءَها ادريانوس الإمبراطور الرومانى بعد أن كانت قد هدمـــت فى حصار تيطس ووضع فوق أحد أبوابها حجراً منقوشاً فيهِ أوامرهُ ومـــنع اليهود عن السكنى فى أورشليم وسمى المدينة ايليا ووضع على إحدى ابـــوابها صورة خنزير لكى ينجسها فى أعينهم وبقى هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال . فرجع إليها حينئذٍ كثيرون من اليهود وحسنوها وشيدوها وكان قد بلغ الإمبراطور ادريانوس أن اليهود يشيدون أورشليم ويحصنوها ليخرجوا عـــن طاعـــتهِ فأرسل عساكرهُ وقتل أكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحاً إشارة إلى إبادتها فصارت قاعاً صفصفاً وفى هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت دولة اليهود وتشتت شملهم وانتشروا

فى كـــل الأقطـــار ولم يقم لهم بعد ذلك قائِم وكانـــت هذه الحـــرب سنـــة ١٣٢ ق . م .

فتمت نبوة السيد المسيح إذ قال لتلاميذهِ انهُ لا يُترك حجر على حجر . وبعـــد ذلك رغب الرومان فى السكنى فى بيت المقدس وكذلك اليهود فكان النصـــارى يـــترددون إلى موضـــع القبر والصليب يصلون فيهِ وكان اليهود يطـــرحون عـــليهِ الوبل ثم أخذهُ الرومان ونظفوهُ وبنوا عليهِ هيكلاً على أسم الزهـــرة . وكـــان الـــرومان يولون على أورشليم قضاةً وبقى ذلك إلى أيام الإمبراطور قسطنطين كما سياتى .

الفصـــــل السادس عشر

حالة أورشليم فى مدة تولى الإمبراطور قسطنطين وإيتان أمهِ إليها وبنائها كنيسة القيامة وتسلط الإمبراطور يوليان وجستنيان وتولى العجم والعرب على المدينة واسترجاع هرقل إياها

وسنة ٣٢٦ بعد المسيح أتت الملكة هيلانة[١] لإقامة كنائس فى تلك المدينة وعـــند وصولها إلى القدس هدمت معبد الزهرة الذى بناهُ الوثنيون على جبل الجلجـــلة واعتـــنت بكشف قبر السيد المسيح وقد قال بعض المؤرخين أنها جـــاءَت إلى مكان الصليب وسالت عن الخشبة التى صلب عليها فأخبرت أن اليهود كانوا قد دفنوها فى الأرض وجعلوا فوقها الأقذار فاستخرجتها للحال

(١) والدة الإمبراطور قسطنطين الرومانى الذى بنى القسطنطينية وسماها بذلك نسبةً اليهِ بعــد أن كانت مدينة صغيرة تحت أسم بيوانتيا وكانت هذه الملكة قد اعتنقت الديانة المسيحية بعد تملك ابنها باثنتين وثلاثين سنة فاتت مصحوبةً بمالٍ جسيم خصصهُ ابنها لبناء كنائس فى الشرق وهو أول من تنصر وثبت من ملوك الرومان .

وعينت مع الأساقفة الذين كانوا معها ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب[1] وبنت على الموضع كنيسة القيامة وكان ذلك سنة ٣٢٨ للمسيح .

وفى مدة تملك ابنها الملك قسطنطين الزم اليهود فى القدس أن يتنصروا فتظاهر كثيرون بالنصرانية ولكنهم لم يأكلوا لحم الخنزير وأمتنع بعضهم عن التنصر فقتل كثيرين منهم .

وسنة ٣٦١ ميلادية آتى الإمبراطور يوليان لمحاربة الشرق وبعد أن صرف فصل الشتاءِ فى إنطاكية توجه نحو القدس وأخذ فى جمع اليهود إلى أورشليم وابتداء بعمار هيكلهم ليبين بذلك فساد النبوات التى تشير إلى أنهُ لا يبنى فيما كما كان ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن لأنهُ كان قد تنصر أولاً ثم رجع إلى الديانة الوثنية .

وقد قال اميانوس أحد مؤرخى الأمم الذى عاش فى تلك الأيام أنهم إذ كانوا يحفرون الأساس خرجت نارٌ من الأرض وحرقت الفعلة وسمعوا رعوداً قوية وكانت شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل .

وسنة ٥٢٩ ميلادية بنى الملك جوستنيان الأول كنيسة عظيمة على أسم العذراء وهى التى عُرفت فى الأعصر الحديثة بالجامع الأقصى وقال بعض المؤرخين أن الملك جوستنيان بنى مستشفى وإن الكنيسة المذكورة شرع فى بنائها البطريرك إلياس وتممها جوستنيان .

---

(١) وقد زينت المدينة يوم وجوده بإشعال مصابيح ونار كثيرة ولم يزل ذلك جارياً إلى الآن إذ يشعلون نيراناً كثيرة فى يوم تذكار وجود الصليب .

وبعد ذلك بمدة وجيزة أخذ العجم والعرب يفتحون حصون الرومان ورغبوا فى الإستيلاءِ على بلادهم وأول من حاربهم كسرى الثانى والمنذر ملك العــرب الذى كان خاضعاً لهُ وقد استولى كسرى على عدة بلدان من بلدان الرومان منها أورشليم .

ونحو سنة ٥٩١ ميلادية أرسل برويز بن كسرى خسرويه مرزبانهُ إلى القدس وأمرهُ بقتل اليهود وخراب المدينة كما أنهُ ارسل فى ذلك الوقت قوماً لخــرب أمــاكن أخرى وذلك ليأخذ بثار صهرهِ موريكش الذى قتلهُ بعض مماليكهِ وأما خسرويه فبعد أن خرب الشام والخليل والناصرة وصور والقدس وقتل كثيرين من النصارى وخرب كنائس كثيرة ونهب أموالاً وافرة مع قطعة من عود الصليب أتى إلى كسرى بالسبي والغنائمِ . ولما رأى اليهود أن الشام ومــا يــليها قــد خلت من الرومان ورأوا أن الفرس يحاصرون القسطنطينية اجــتمعوا مــن القدس وطبرية وقبرص ودمشق فكانوا نحو ٢٠ ألفاً وأتوا إلى صور ليملكوها وكان بها من اليهود نحو ٤ آلاف ولم يزالوا يحاصرونها إلى أن رجع كسرى من القسطنطينية فهزمهم.

وســنة ٦٢٨ ميلاديــة حاصــر هركليوس (المعروف بهرقل) القدس وأسترجعها للرومان ودخل بجيوشهِ أورشليم .

الفصـــــل السابع عشر

إرسال أبو عبيدة سبعة أُمراء لفتح أورشليم وتسليمها لعمر بن الخطـــــاب وبناءُهُ الحرم الشريف وإستيلاء الدولة الأموية ودول لعباسيين والطولونيين والفاطميين والسلجوقيين عليها إلى دخول الصليبيين

وسنة ٦٣٤ ميلادية إذ كان أبو عبيدة قائد جيوش المسلمين فى دمشق جمع أُمراءَهم وقال لهم : أشيروا علىَّ بما أصنع وإلى أين أتوجه فقالوا: أما إلى بيـــت المقـــدس ، أما إلى قيصرية فأشار عليهِ معاذ بن جبل أن يستشير أمير المؤمـــنين عمـــر بن الخطاب بذلك فكتب إليهِ إلى المدينة وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى يستشيرهُ بذلك فورد إليهِ الجواب بأن يسير إلى بيت المقدس وبشرهُ بفتحهِ فقرأ الكتاب على المسلمين ففرحوا بمسيرهم إلى القدس الشريف وعند ذلك دعا أبو عبيدة خالد بن الوليد وعقد لـــهُ رأية وضم إليهِ خمســـة آلاف فارس وسرحهُ إلى بيت المقدس وفى اليوم الثانى دعا يزيد بن أبى ســـفيان وعقد لهُ راية وأمرهُ أن يلحق بخالد وفى اليوم الثالث دعا شرحبيل بن حســـنة وعقـــد لهُ راية بخمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال لـــهُ : سر

بعساكرك إلى بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم قبلك . وفى اليوم الرابع دعا المرقال بن هاشم وضم إليهِ خمسة آلاف فارس من جميع المسلمين وسرحهُ على آثر شرحبيل وقال لهُ : أنزل على حصن بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم وفى اليوم الخامس دعا مسيب بن نجية الفزارى وعقد لهُ رأية بخمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وأمرهُ بالمسير فى آثر أصحابه. وعقد رأية سادسة بخمسة آلاف فارس وسلمها إلى قيس بن المرادى وسيرهُ وراءَهم . وعقد رأية سابعة وسلمها إلى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل مؤلفه من خمسة آلاف فارس وسيرها وراءَهم فكان جملة مِن سرحهُ أبو عبيدة من الشام إلى بيت المقدس سبع فرق بخمسة وثلاثين ألفاً مع سبعة من أمراءِ المسلمين فكانوا يصلون إلى بيت المقدس الواحد بعد الآخر على سبعة أيام . فأول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد ولما شاهد المدينة كبّر ثم كبّر أصحابهُ فلما سمع أهل المدينة خافوا وصعدوا إلى الأماكن المرتفعة فلما رأوا قلة جيوش المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع الجيوش المهاجمة. فحل خالد ومن معهُ قرب الباب الذى يؤَدى إلى أريحا وفى اليوم الثانى أقبل يزيد بن أبى سفيان بجيوشهِ وفى اليوم الثالث شرحبيل وهكذا إلى أن وصلت جميع الجيوش وحلت فى ظاهر القدس الشريف وبقيت جيوش المسلمين حالّة أربعة أيام بدون أن يتكلموا كلمة مع أهل المدينة الذين لم يخرج منها إليهم أحد وفى اليوم الخامس. ركب يزيد بن أبى سفيان واشهر سلاحهُ وتقدم إلى جهة السور ومعهُ ترجمانٌ فوقف بإزء السور وأمر ترجمانهُ أن يقول لهم : أن أمير العرب يطلب منكم واحدة من ثلاث أما الدخول فى الإسلام وإما أداء الجزية وأما القتال وكان المخاطَب قساً فبلّغ القس لمن وراءَهُ ما قال الترجمان فعظم الأمر عليهم عندما

سمعـــوا ذلك وقالوا : الموت أسهل علينا من ذلك ، فبلغ الترجمان يزيد ذلك فلما سمع جوابهم رجع وأخبر بما أُجيب وقال لقومهِ : ما اصطبارنا عن القتال فقـــالوا : أن الأمـــير أبا عبيدة ما أمرنا بقتال القوم بل بالنزول عليهم حينئذ كتـــبوا إليه يعرفونهُ بذلك فأجابهم أبو عبيدة يأمرهم بالهجوم على المدينة وأنهُ قادمٌ فى أثر الكتاب ففرحت الجيوش بهذا الخبر واستعدوا إلى النزال وفى اليوم الـــثانى نهضوا للحرب فأول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن فنظر إليهم أهـــل بيت المقدس وتلقوهم بالنبال وكان المسلمون يتلقونها بدرقهم واشتدَّت الحرب من الصباح إلى المساء فلما أظلم الظلام رجع كل فريق إلى مركزهِ .

وفى صباح اليوم الثانى تقدم المسلمون للحرب وأنتشب القتال وكانت حرب عظيمة دامت إلى اليوم العاشر وفى اليوم الحادى عشر أشرفت رأية أبى عـــبيدة يحمـــلها غلامهُ سالم فلما وصل إلى المعسكر ضجَّت الجيوش ضجيج الفرح والسرور بقدوم قائد جيوشهم فوقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس وذهبوا إلى كنيسة القيامة وأخبروا البطريرك بذلك فتقدم البطريرك والقسوس وكـــانوا يشجعون قومهم وكان الحرب فى الشتاء فدام أربعة أشهر كامـــلة وأبو عبيدة بجيوشه يحاصر المدينة وما من يومٍ إلا ويقاتل قتالاً شديداً فلما طال الحصار على المدينة ضجر الرومان من الحرب وتقدموا إلى القائد الذى كان يدير الجيوش وقالوا لهُ : لقد طال الأمر علينا ولم يأتنا إسعاف من مكان وربما أشـــتغل الملك هرقل عنا بالدفاع عن نفسهِ فالأولى محاسنة العرب فإن كان ما يطلبونهُ منا سهلاً وافقناهم عليهِ ونجونا من الهلاك وإن كان صعباً فتحنا أبواب المدينة وخرجنا إليهم فأما أن نُقتل عن أخرنا وأما نهزمهم عنا فأجابهم القائد إلى

ذلــك وصعد معهم على السور وحمل الصليب وبين يديه القسوس والرهبان وبــأيديهم الأناجيل مفتحة والمباخر متقدة فلما دنوا من المكان الذى كان فيه أبــو عبيدة صرخ رومانٌ بالعربية قائلاً قد جاءَ عمدة النصرانية. ثم قــــام أبــو عــبيدة ومن معهُ من الأمراءِ وأخذوا فى الكلام مع القائد وبعد حديث طويــل جرى بينهم رفض التسليم إلاّ عن يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب أبو عبيدة إليهِ إلى المدينة يعرفهُ بذلك ويستعطفهُ بالحضور لأنهاءِ الحرب وحجب دماءِ العباد فقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرسالة على المسلمين وقال ما ترون فيما كتب أبو عبيدة رحمكم الله فأجاب عثمان بن عفان رضى الله عــنه قــائلاً يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الرومان وأخرجهم من الشام ونصرنا عليهم وقد انكسرت شوكتهم ولايزدادون إلاّ ذلاً وضعفاً فإن لم تسر إليهم رأوا إنك مستخف بأمرهم فلا يلبثون قليلاً حتى يعطوا الجزية. فلما أتم عثمان حديثهُ قال عمر : هل عند أحدكم رأىٌ غير هذا فأجــــاب على بن أبى طالب رضى الله عنه نعم عندى غير هذا الرأى وهو بما أن القوم قد سألوك وفى ســؤالهم ذلك فتح للمسلمين الذين أصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام فإذا سرت إليهم فتح الله المدينة على يدك وكان فى مسيرك الأجر العظيم ففرح عمر بهذه المشورة وقال : لقد أحسن عثمان رضى الله عنه النظر فى المكيــدة للعدو وأحسن رضى الله عنه على المشورة للمســلمين. ثم انــهُ أمــر الناس بأخذ الأهبة للمسير معهُ والاستعداد فأســرعوا إلى ذلك وركب عمــر بن الخطاب رضى الله عنه بجيوشهِ بعد أن استخلف على المدينــــة عــلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولما قرب إلى بيت المقدس أرادات الفرسان ملاقاته فمنعهم أبو عبيدة وسار هو ببعض الفرسان ولما التقيا تصافحوا وسلم

بعضـــهما على البعض وسار إلى أن أجتمعا بقومهم فخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الجيوش خطاباً ختمهُ يحثهم على الصلاة وبعد ذلك جلس فـــأخذ أبو عبيدة يقص عليهِ ما لقى من الرومان وكان عمر باهتاً تارةً يبكى وتارةً يهدأُ وبعد ذلك أمر عمر رضى الله عنه بأن يخبروا الرومان بحضورهِ ولما بـــلغ البطريرك ذلك خرج من الكنيسة ومعهُ القسوس والرهبان والأسقافة ومعهـــم الصليب وسار معهم فسلموا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما طلبوا وحينئذٍ كتب أمامهم ونصهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم

(مـــن عمر بن الخطاب لأهل إيليا أنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن آه ذكرهُ الإمام ابن خلدون) .

ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وذلك سنة ٦٣٤م ودخل كنيسة القيامة فجلس فى صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك: أريـــد الصلاة فقال: صلّ موضعك فأمتنع وصلى على الدرجة التى على باب الكنيســـة منفرداً فلما قضى صلاتهُ قال: للبطريرك لوصليت داخل الكنيسة لأخذهـــا المســـلمون بعـــدى وقـــالوا: هنا صلى عمر رضى الله عنه. ثم قال للـــبطريرك: أرنى موضعاً أبنى فيهِ مسجداً فقال :على الصخرة وهى موضع هيكـــل سليمان الحكيم وكانت مغطاة بالأقذار فجعل ينظفها بيدهِ فاقتدى بهِ المسلمون فزالت فى الحال وأمر ببناءِ المسجد فبنى ولم يكن ذلك بإتقان عظيم وبقى إلى أن أتقن بناءَهُ عبد الملك بن مروان الخامس من خلفاءِ بنى اميَّة .

وبعد أن قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بيت المقدس عشرة أيام أعطـــى القدس مع أرض فلسطين والساحل ليزيد بن أبى سفيان الثانى من بنى أميـــة تحت ولاية أبى عبيدة ورجع إلى المدينة وهكذا استخلص المسلمون بيت المقـــدس مـــع أمـــاكن أخرى من الإمبراطور هرقل الرومانى وصارت تحت تلسلطهم .

وإذا كـــان قد تم فتح القدس للمسلمين خضعت مع غيرها من أرض فلسطين لخلفاءِ الدولة الأموية التى كان مركزها دمشق الشام .

وســـنة ٧٥ ميلادية أنتقلت من الدولة الأموية إلى الخلفاء بنى العباس الذين كانت قاعدة ملكهم بغداد واستمرت فى حكمهم إلى سنة ٨٣٣ ميلادية وفى مـــدة خلافـــتهم كانت تأتى سفراءُ الإمبراطور شرلمان العظيم إلى القدس ويوزعـــون الإحسان على المحتاجين وعند رجوعهم تذهب معهم رسل الخلفاءِ أخـــذه مفاتيح كنيسة القيامة والقبر للإمبراطور المذكور الذى ولد سنة ٧٤٢ ميلادية ومات سنة ٨١٤ ميلادية.

وســـنة ٨٣٣ ميلادية دخلت تحت حكم بنى طولون حكام مصر من طرف الدولة العباسية وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ٩٠٥ ميلادية.

وسنة ٩٠٥ ميلادية أنقلبت الدولة الطولونية عن تحتها وقامت مكانها الدولـــة الفاطميـــة فدخلت أورشليم تحت حكمها وبقيت تحت تسلط الدولة

الفاطمية إلى سنة ١٠٧٨ ميلادية وفى مدة حكم هذه الدولة احترقت كنيسة القيامة أكثر من مرة ولم يتم إصلاحها قبل سنة ١٠٤٨ ميلادية.

وسـنة ١٠٧٧ ميلادية نهب القدس قائد جيش مرسل من شاه العجم إلى الولايات السورية .

وسنة ١٠٧٨ ميلادية جاءت الدولة السلجوقية التركمانية التى كان رئيسـها طوغـرول بك حفيد سلجوق وتغلبت على البلاد العربية فدخلت أورشـليم فى حكمهـا وبقيت إلى سنة ١١٥٤ ميلادية وقد ثبت حكمها فى مصـر وبعض أماكن أخرى إلى سنة ١١٩٤ ميلادية إذا انقرضت وقتئذ. وفى مدة حكم هذه الدولة أتت الجيوش الصليبية وحاصرت أورشليم كما سيأتى بالتفصيل.

الفصـــــل الثامن عشر

حالة أورشليم فى حصار الصليبيين واستيلاؤهم عليها إلى أن طردهم الملك صلاح الدين الإيوبى

ولى اليـــوم العاشـــر مـــن شهر حزيران سنة ١٠٩٩ ميلادية قدمت إليها الجيـــوش الصليبية (١) التى كانت وقتئذٍ قد ملأت سواحل سورية تحت قيادة

---

(١) بعـــد صعود السيد المسيح إلى السماء أخذت النصارى تتوارد إلى زيارة الأرض المقدسة وعلى الخصوص مدينة القدس الشريف التى صلب بها المسيح .

ومن الذين زاروا القدس فى أواخر الجيل الحادى عشر بطرس الناسك الذى ولد سنة ١٠٥٠ ميلادية من عائلة كريمة فى أميان فى بيكارديا من أعمال فرنسا وكان قد تجند وحصـــل عـــلى شهرة عظيمة ببسالتهِ وإقدامهِ وكان متزوجاً ولهُ أولاد غير أنهُ ترك وظيفـــتهُ العسكرية وامرأتهُ وأولادهُ وذهب متعبداً متنسكاً ومتشحاً بالثوب الرهبانى.

وإذ رأى ذات يـــوم أناساً متوجهين إلى زيارة أورشليم سار برفقتهم وكان ذلك سنة ١٠٩٣ ميلاديـــة ولما وصل إليها قابل بطريركها سمعان وبعد مخاطبات جرت بينهما اتفقـــا على أن يذهب بطرس إلى أوروبا ويهيج أهلها ليأتوا بعساكر جرارة تحت راية الصـــليب وتدعـــى العساكر الصليبين لاستخلاص الأرض المقدسة من يد المسلمين فذهب بطرس الناسك إلى البابا أوربانس الثانى وبلغهُ إرادتهُ وسلمهُ تحريراً من بطريرك أورشليم ففرح البابا بذلك وأمرهُ أن يجول فى مدن أوروبا منادياً بذلك ومهيجاً الشعب فكـــان يجـــول حافيـــاً من مكان على آخر متمنطقاً بحبل وأخذ فى أن يهيج الشعوب الأوروبية فجمع جيشاً عظيماً بعد أن كان قد حـــرك بوعظهِ أنعقاد مجمع كليرمون (سنة ١٠٩٥ ميلادية) الذى قرر إشهار الحرب الصليبية الأولى فجمع جيشاً عظيماً =

رؤسائهم الآتي ذكرهم وهم غودافروا كبيرهم (الذى بعد أن استولى على المدينة أراد الصليبيون أن يقيموهُ ملكاً فرفض ذلك وتمنع عن أن يتتوج إذ قال: أنهُ لا يلبس التاج ويدعى ملكاً فى مكان كلل فيه السيد المسيح بالشوك) وأخواهُ اسطاكيوس وبودوين وروبرتس دوق نورماندیا . ودوق فلاندرا وتنكريد . وكونت طولوزا . وريموند دواورانج. وغوليوم دو مونت بيلير وغاطون دوبيران . فهؤلاءِ هم رؤساءُ الصليبيين الذين حاصروا أورشليم بخمسين ألف مقاتل وكان والى المدينة وقتئذٍ رجلٌ من قبل المستعلي بالله أحد الخلفاءِ الفاطميين بمصر فلما علم بقدوم هذه الجيوش حصن المدينة بالعدد والجيوش. وأما الجنود الصليبية ففى غد وصولها أخذت فى حصر المدينة وقد حدثت وقائع كثيرة بدون أن ينتصر أحدٌ لأن قوة الفريقين كادت تكون متساوية فلما رأى الصليبيون عدم نجاحهم أصطنعوا آلات كثيرة وابراجاً خشبية أتوا بأحشابها من نواحى نابلس وجددوا حصار المدينة فكانت جيوش الإسلام تقذف عليهم ناراً بواسطة أخشاب مضطرمة مطلية بالزفت والقطران

= وسار به نحو الأرض المقدسة وإذ كانت الذخائر والنقود قليلة معهُ هلك كثيرون من جنوده فى بلاد المجر وبلاد البلغار وآسيا الصغرى ورجع بعدد قليل إلى القسطنطينية حيث انضمت بقايا جنوده إلى الجنود المنظمة التى وصلت بعد مدة وجيزة وقد خطب خطاباً على الصليبيين المجتمعين على جبل الزيتون وعند رجوعه إلى أوروبا دخل دير نوموتيه الذي كان قد أسسه ومات فيه سنة ١١١٥ ميلادية وقد أقامت لهُ مدينة أميان التى ولد فيها مثالاً سنة ١٨٤٥ ميلادية فهذا هو أصل الحروب الصليبية وأما الوقائع والحوادث التى جرت لهم فيها فلا حاجة إلى ذكرها إذ أننا اقتصرنا على ذكر ما جرى منها فى أورشليم وبعض متعلقاتها كما يأتى .

غير أن ذلك لم يثنِ المحاصرين عن عزمهم فبعد حروبٍ شديدة وصدماتٍ مريعة استولوا على المدينة وجعلوها مقر ملكهم غير أنهم قتلوا كثيرين من أهاليها وأرتكبوا فظائع كثيرة وبعد استيلاء الصليبيين عليها بخمسة عشر يوماً أتى سلطان مصر بعسكر جرار لاسترجاعها فالتقاهُ غودافروا بجيوشهِ عند عسقلان فكسرهُ وشتت شملهُ .

وبقى غودافروا سلطاناً على فلسطين التى كان كرسيها أورشليم إلى سنة ١١٠٠ ميلادية حيث توفى فى ١٨ تموز من السنة المذكورة ودفن فى كنيسة القيامة بكل إكرام وقد حزن عليهِ الجميع لما كان عليهِ من حسن الصفات . وكان وقتئذٍ بطريرك أورشليم دايبارتوس فرغب فى أن يستولى على المملكة مع البطريركية فلم يرتض الشعب بذلك فكتب إلى بوهيموند ملك إنطاكية (من الملوك الصليبيين) طالباً مساعدتهُ بذلك فلم يجب طلبهُ أما رجال الدولة فأستحسنوا أن يولوا على أورشليم بودوين سلطان الرها (أورفه) شقيق غودافروا وعندما طلبوا إليهِ ذلك أجاب طلبهم وأتى بأربعمائة فارس وألف ماشٍ وتملك أورشليم سنة ١١٠٠ ميلادية.

وسنة ١١٠٤ ميلادية زحف الملك بودوين الأول بجيوشهِ لفتح عكا بالأتفاق مع قواد آخرين من الصليبيين الذين كان تحت أمرهم سبعون مركباً فأتوها بمراكبهم وشددوا الحصار فدام عشرين يوماً ثم سلمت المدينة فرجع الملك بودوين إلى عاصمة مملكتهِ .

وسنة ١١١٠ ميلادية ذهب بودوين الأول ملك القدس لأخذ بيروت فحاصرها خمسة وسبعين يوماً فسلمت لهُ فأستولى عليها ورجع إلى كرسى مملكتهِ .

وسنة ١١١٨ ميلادية بينما كان بودوين الأول مشغلاً بالحروب والفتوحات وكان قد ساق عساكرهُ إلى نواحى عريش مصر اعتراهُ مرض عضال ولما شعر بقرب نهاية إيامهِ طلب من قوادهِ أن يدفنوهُ بعد موتهِ فى كنيسة القيامة بقرب ضريح أخيه فكان كذلك وقد حزن على فقدهِ جميع رعاياهُ وتولى بعدهُ بودوين الثانى ملك أورفه .

وسنة ١١٢٠ ميلادية إذ حدثت وقائع بين ملك إنطاكية وبين الجيوش الإسلامية كتب ملك إنطاكية يستدعى ملك القدس لمعونتهِ فحضر ومعهُ أمير أورفه وأمير طرابلس وقد جرت بين الفريقين معركة دموية كان النصر بها للصليبيين بواسطة الملك بودوين الذى رجع إلى أورشليم بعد هذا الأنتصار .

وسنة ١١٢٣ ميلادية بلغهُ أن جيوش المسلمين حاربت أورفه وأخذت أميرها أسيراً فنهض برجالهِ لانقاذهِ من الاسر لما وصل بينما كان يعزى سكانها على ما جرى لهم أحاطت الجيوش الإسلامية بهِ وأخذوه أسيراً وأرسلوهُ إلى قلعة بين النهرين وسجنوهُ مع أمير أورفه .

ولما بلغ عساكر المسلمين أسر ملك أورشليم استغنموا الفرصة لاستخلاص فلسطين من الصليبيين فوجهوا فرقتين من جنودهم لأخذ يافا

الواحـــدة مـــن جهة البحر والأخرى من جهة البر . أما الصليبيون فكانوا قد أقاموا نائباً لملك أورشليم أوسطاكيوس دواغرين والى صيدا فقصد محاربتهم فى يافا وأتاهم من صيدا بجيش عددهُ ثلاثة آلاف وبعد حروب انتصر الصليبيون وتم ذلك سنة ١١٢٤ ميلادية.

وفى هذه السنة أتت نجدة من جمهورية البندقية مؤلفة من واحد وعشرين مركـــباً وبعض العساكر المشاة تحت أمرة الدوق ميخائيل فلما وصل الدوق المذكور إلى نواحى عكا أرسى السفن هناك وسار إلى أورشليم فأستقبلهُ أهلها بمزيد الإكرام ثم أنهُ صار عقد مجلس مركب من ملك أورشليم ونائبها والدوق مـــيخائيل وأمـــير طبريا وغيرهما من الأمراءِ بخصوص حصار مدينة صور فتم ذلـــك وذهبوا إلى الحرب وبعد حصار دام أكثر من خمسة أشهر استولوا على المدينة ولما بلغ أورشليم ذلك زينت أبنيتها علامة لسرورها .

أما بودوين الثانى ملك أورشليم فإذ بلغهُ انتصار الصليبيين فرح فرحاً لا يوصـــف وخاطب آسريهِ بأمر فدية يوصلها إليهم فقبلوا بذلك وأطلقوهُ فلما خـــرج مـــن الآسر جمع جانباً من العساكر وأقام عدة حروب فى طريقةِ فاز ببعضها وأنكسر بالبعض الآخر ثم وصل إلى أورشليم .

وســـنة ١١٣١ ميلادية توفى بودوين الثانى وإذ لم يكن لهُ ذكر أوصى قـــبل موتـــهِ بتاج ملك أورشليم لفلوكس دو أنجو الذى كان قد زوجهُ بأبنتهِ

وكان هذا الأمير من الذين أتو أولاً مع غودافروا . فبعد أن دفن الملك فى قبر الملوك تُوج صهرهُ ملكاً على أورشليم .

أمـــا الملك فولكس فلم تحدث فى أيامهِ حروب كثيرة كغيرهِ غير أنهُ فى سنة ١١٤٣ ميلادية حاصر مدينة بانياس وأمتلكها بعد حصار عدة أيام وبعد ذلك بمدة بينما كان سائراً فى سهول عكا سقط عن فرسهِ ومات وملك بعدهُ ابـــنهُ الأكبر بودوين الثالث الذى لم يكن لهُ من العمر سوى ثلاث عشرة سنة فتولى بودوين الثالث سنة ١١٤٤ ميلادية.

وسنة ١١٤٥ ميلادية إذ كان قد بلغ سن الأربع عشرة لبس تاج أبيهِ وتقـــلد ســـيفهُ وجردهُ أمام عساكرهِ وسار بها إلى ما وراءَ الأردن وهناك أقام حرباً عظيمة أنتصر بها وأستولى على وادى موسى ورجع إلى أورشليم ظافراً .

ولمـــا رأى بودوين أنهُ فاز بالغلبة على أعدائهِ قصد الذهاب إلى امتلاك بصـــرى [1] فى رأس حـــوزان فذهب بجيوشهِ غير أنهُ إذ لم ينجح رجع عنها مكسوراً إلى أورشليم .

وســـنة ١١٤٨ ميلادية إذ كان كونراد الثالث ملك جرمانيا ولويس السابع ملك فرنسا آتيين بجيوشهما لمساعدة الصليبيين التقتهم جيوش المسلمين فى الطـــريق وأهلكت جانباً من رجالهم فنزلوا فى السفن وتوجهوا على القدس

---

[1] ضم الباء (بصرى) بلدة فى سوريا دخلها النبى محمد عليه الصلاة والسلام لتجارة .

وانضموا على اللاتين الذين كانوا هناك ومنها ذهبوا مع ملك القدس بودوين الثالث إلى دمشق للاستيلاء عليها وكان والى دمشق يومئذ وقائد جيوشها الأمير أيوب مقدام الدولة الأيوبية وأول رجالها وبعد أن وصلوا إليها أقاموا عليها الحصار ونصبوا على أبراجها المجانق والآلات ونازلوها مدة طويلة بدون نتيجة ولما يئسوا من استخلاصها انكفوا عنها راجعين إلى أورشليم .

وسنة ١١٥٣ ميلادية زحف بودوين الثالث لحصار مدينة عسقلان فأخذها بعد حصار طويل وبعد ذلك ذهب لانطاكية فمرض فيها ولما اشتد مرضهُ أمر أن ينقل إلى طرابلس شام ثم إلى بيروت ومات فيها سنة ١١٦٢ ميلادية فنقل جسمهُ على أورشليم ودفن فى كنيسة القيامة مع ملوك الصليبيين.

وإذ لم يكن لهُ ولد ملك بعدهُ أخوهُ أمورى الذى كان متوالياً على عسقلان ويافا فتتوج بعد مقاومات كثيرة لعدم أهليتهِ للأرتقاءِ إلى مركزٍ كهذا ولما تولى شرع فى حروب كثيرة فى سورية ومصر وكان تارة ينتصر وطوراً ينكسر وتوفى سنة ١١٧٤ ميلادية وتولى الملك بعدهُ ابنهُ بودوين الرابع ولهُ من العمر ثلاث عشرة سنة وقد بلى بالبرص فلقبهُ المؤرخون بالملك الأبرص ولسبب مرضهِ أقام وكيلاً عنهُ رايموند أمير طرابلس غير أنهُ عندما بلغهُ هجوم السلطان صلاح الدين الأيوبى على مدينة عسقلان جهز جيشاً وسار لمحاربتهِ وبعد حروب شديدة فاز بودوين الرابع بالغلبة وذلك سنة ١١٨٨ ميلادية وبعد ذلك فقد هذا الملك نظرهُ . وحينئذٍ سلم مملكتهُ إلى لوزنيانا زوج أختهِ

سيسبلاً إذ كان غير أهلٍ لذلك عزلهُ الملك وسلم المملكة لرايموند أمير طرابلس وبعد ذلك بقليل تنزل هذا السلطان عن ملكهِ لابن أختهِ الذى لم يكن لهُ من العمر سوى خمس سنوات وهكذا صعد على كرسى ملك أورشليم سنة ١١٨٥ ميلادية وسمى بودوين الخامس وسنة ١١٨٧ ميلادية توفى بودوين الرابع وفى هذه السنة توفى بودوين الخامس أيضاً وبعد وفاتهِ تزوجت أمهُ سيسبلاّ بغوى دولوزنيانا وكان رجل ذميم الأخلاق قبيح السيرة إلاّ أنهُ كان جميل الصورة فجعلتهُ ملكاً على أورشليم فساءَ هذا الأمر فى أعين جميع العظماءِ ورؤساءِ الصليبيين فنفر أكثرهم وخلعوا طاعتهُ ومن جملتهم الكونت ريموند الذى إذ لم يحصل على التاج الملكى خان ابناءَ وطنهِ وكاتب الأعداءَ سراً منهضاً همتهم على الحرب وافتتاح البلاد .

وفى تلك السنة أى سنة ١١٨٧ ميلادية قدم صلاح الدين الأيوبى سلطان مصر لمحاربة الصليبيين وأحاط بمدينة طبريا وحينئذٍ وافاهُ ملك القدس بجيوش كثيرة للمدافعة والمحاماة عن تلك المدينة لأنها كانت لهم من أهم مراكز البلاد وهناك بعد حرب دامت لنحو يومين كاملين ومعركة دموية دارت الدائرة على الصليبيين فقفلوا راجعين إلى القدس بعد أن قتل منهم ثلاثون ألف رجل وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين ٢٣٠ رجلاً من أعيان الأفرنج وقد أسر ملك أورشليم أيضاً .

وبعد هذه الحادثة بنحو ثلاثة أشهر زحف صلاح الدين بجيوشهِ على القدس ولم يكن فيها أكثر من ١٠٠ ألف نفس والملكة التى لم تستطيع الثبات

أكثر من أسبوعين إذ كانت أفكارها مضطربة لأسر زوجها فسلمت بشروط صار الآتفاق عليها وهى أن جميع الأفرنج يخرجون من المدينة ويرحلون بعيالهم وأموالهم وتكون لهم الحماية فيصلون آمنين إلى سواحل سورية أو مصر وأن كلاً من الأهالى يدفع للسلطان صلاح الدين مبلغاً معلوماً فدية عن حياته والذى لا يدفع يبقى كعبدٍ وأسير غير أن صلاح الدين أظهر من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليهِ فأطلق ٣٠٠٠ رجل بدون فدية وأظهر للملكة كثيراً من الرقة والطف وكان يعزيها بكلامهِ وبدموعهِ معاً ووزع كثيراً من الإحسان على الفقراءِ والأرامل وإيتام القتلى وسمح للمتوجلين أمر المستشفيات بأن يبقوا مدة سنة أخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم .

فخرج المنفيون من أورشليم وكانوا تائهين فى أراضى سورية فى حالة يرثى لها يلتمسون لأنفسهم المعونة والمساعدة وكثيراً ما كان نفس المسيحيين يطردونهم .

وسنة ١١٩١ ميلادية عزم ريكاردوس ملك الإنكليز على حصار عسقلان ولما أشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاثمائة ألف مقاتل وانتشبت بينهما حروب هائلة لم يسمع بمثلها من قبل وكانت الدائرة على عساكر صلاح الدين فأنهزموا بعد مقتلة شديدة فقد بها من جيوش صلاح الدين نحو أربعين ألف جندى من شجعان العساكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر وأستولى على عسقلان وباقى مدن اليهودية أما الملك صلاح الدين

فالــتجأ إلى مدينة القدس وحصن قلاعها وأبراجها وملأها بالعساكر والجنود وتوقفت الحرب لسبب فصل الشتاء .

وفى بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيوشه على القدس التى كانت مبــتغاهُ الأقصى فهاج الأهالى وأعتراهم الرعب عند قدوم هذا الجبار فحاصر المدينة وشيق عليها ثم رجع عنها إذ صادف صعوبات كثيرة وكانت عساكرهُ قد ضجرت من الحروب .

وفى أثــناء ذلــك زحــف صلاح الدين من القدس بستين ألف مقاتل لاســتخلاص مديــنة يافا وعندما أوشك أن يفتحها وافاهُ ريكاردوس فحاربهُ وهزمهُ .

وبعــد ذلــك جــرت مخابرات بشأن الصلح بين الملك صلاح الدين وريكــاردوس وأول شرط طلبهُ ريكاردوس تسليم القدس وفلسطين وترجيع خشــبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين وصار الأتفاق على عمل هدنة ثلاث سنوات فى أثناء هذه يسمح للمسيحيين بأن يزوروا القدس فى أى وقت أرادوا بدون معارضة ولا دفع جزية وبعد أتمام هــذه المعادة رجع ريكاردوس إلى أوروبا وبعد ذلك بمدة قليلة توفى صلاح الديــن وتــولى الأمر أخوهُ سيف الدين وغذ كانت أروشليم فى يد المسلمين تسمى عليها أربعة ملوك وهم كادى لاسكنان وهنرى الثانى وأمورى لاسكنان ويوحنا بريان ولم نذكر عنهم شيئاً هنا لعدم أهمية ما أجروهُ فى أورشليم.

وسنة ١٢٢٨ ميلادية إذ كانت تجهزت حملة سادسة من الصليبيين تحت قيـادة فريدريكوس الثانى ملك المانيا وكان فى تلك المدة قلاقل بين المسلمين وأمـرائهم والمتقدمين فيهم اضطر الملك الكامل ناصر الدين بن سيف الدين الـذى كـان كرسيهُ فى مصر أن يعقد معاهدة مع الملك فريدريكس المذكور فأرسل يستدعيهِ إليهِ واعداً إياهُ بأعطاءِ أورشليم فنهض فريدريكوس بأربعين ألـف مقاتل إلى عكا ومنها إلى القدس بدون أن يعارضهُ أحد وبعد ذلك عقد عهـوداً بيـنهُ وبين المسلمين وهى أن القدس ويافا وبيت لحم والناصرة وما يجاورهما يكونون فى أيدى المسيحيين فتم ذلك ولكن عامةّ الصليبيين لم يسروا بأعمال فريدريكوس لأنهم كانوا يحسبونهُ محروماً من قِبَل الكرسى الرومانى لأنهُ كان قد جرت اختلافات بينهُ وبين البابا ولذلك رفضوا طاعتهُ وتمنع بطريرك اللاتـين عن حضور تتويجه ولذلك مد فريدريكوس يدهُ وأخذ التاج عن قبر السـيد المسيح ووضعهُ على راسهِ فكان تتويجهُ فى سنة ١٢٢٩ ميلادية وبعد مدة عاد إلى بلادهِ .

وسنة ١٢٤٠ ميلادية إذ كان المسلمون قد نقضوا الشروط التى عقدها ملك جرامانيا والملك ناصر الدين وكان قد تجرد جيش صليبى سابع مؤلف من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الأمراء قبل ذلك بنحو سنة قام قائد فرقة انكليزية وهو الأمير كورتوال وعزم على إقامة حرب عظيمة ليستخلص البلاد مـن المسلمين وإذ كان يومئذ السلطان مشغلاً فى حرب أخيه فى دمشق عقد صـلحاً مـع الأمير المشار إليه وأعطاهُ القدس وبيروت والناصرة وبيت لحم وجبل تابور وقسماً كبيراً من الأراضى المجاورة وتم ذلك سنة ١٢٤٣ ميلادية.

وبينما كان الصليبيون فى ارغد عيش باسترجاع تلك الأراضى دهمتهم مصيبة لم تخطر لهم ببال وهى ظهور جنكيزخان الذى أقام الحرب بين طوائف العـــرب والتتر والعجم فأقلق بغاراته البلاد وأهزمت الشعوب من أمامه ومن جملـــتهم شعوب خوارزم الذين أحاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا بأهلها ونهـــبوا بيـــت المقدس وقتلوا كثيرين من الآلكيروس فى كنيسة القبر المقدس واســـتولوا على المدينة وبقيت أورشليم فى حكم الخوارزميين إلى سنة ١٢٤٧ ميلاديـــة حيـــث قدم الملك المظفر سلطان مصر [١] من ملوك الدولة الأيوبية وطردهم إلى تخومهم الكائنة على شطوط بحر الخرز .

[١] هو الظاهر بيبرس بعد قتله القائد قطـــز .

الفصـــــل التاسع عشر

حالة أورشليم

بعد انقراض الدولة الأيوبية وإستيلاء الجراكسة

والترعليها إلى الفتح العثمانى

وبعـد ذلـك انقرضت الدولة الأيوبية وأصبحت القدس مع غيرها بيد الدولـة الجركسية إحدى فروع الدولة التركية وكانت قد انحطت عن قوتها وضـعفت فـلم يعـد يحدث فيها شيء يستحق الذكر وكانت بداية الدولة الجركسـية سنة ١٣٥٠ ميلادية وحكمت إلى سنة ١٥١٧ ميلادية وكانت أورشليم خاضعة لملوك مصر الجراكسة أى المماليك الأولين .

وسـنة ١٤٠٠ ميلادية قدم تيمور لنك المغولى واستولى على سورية وغيرها خاضعة لدولة المماليك إلى سنة ١٥١٧ ميلادية كما ذكر .

الفصل العشرون

أورشليم من خضوعها لسلاطين
آل عثمان العظام إلى هذا الزمان

وفى هذه السنة: استفتح السلطان سليم الثانى ابن السلطان بيازيد العثمانى بلاد سورية ودخلت القدس فى حكم سلاطين آل عثمان ولم تزل خاضعة مع سورية للدولة العلية .

وقد مر السلطان سليم فى القدس وزار قبور الأنبياء ورأى الآثار القديمة وبقى سائراً فى طريقه على مصر وقد خلف السلطان سليم الأول السلطان سليمان وهو الذى بنى أسوارها الحاضرة وفتح فيها أربعة أبواب لكل جهة باباً .

وسنة ١٨١١ ميلادية احترقت كنيسة القيامة وتجدد بناؤها فى السنة الثانية.

وسنة ١٨٣١ ميلادية أتى إبراهيم باشا بن محمد على باشا عزيز مصر وحاصر عكا التى كان واليها حينئذٍ تملك قسماً كبيراً من سورية فدخلت القدس فى حكمه سنة ١٨٣٢ ميلادية.

وسنة ١٨٤٠ ميلادية استرجعتها الدولة العلية من إبراهيم باشا بعد عدة حروب وقد أتحدت مع الدولة العلية على رفع الحكومة المصرية دول أوروبية.

وسنة ١٨٥١ ميلادية جرى فى هذه المدينة بعض أسباب جعلت سبباً للحرب العظيمة التى جرت بين الدولة العلية والمسكوب وذلك أنهُ كان يوجد اختلافات مزمنة بين الروم واللاتين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كلٌّ من الطائفتين تدعى لذاتها حق الرياسة والتقدم على الأخرى باستلام مفاتيحها وإذ كانت روسيا قد جعلت الشرق مطمح نظرها استغنمت هذه الفرصة لمحاربة الدولة العلية فأشهرت الحرب المعروفة بحرب القرم .

وبعد أن استرجعت الدولة العلية سورية من الحكومة المصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية كانت تارةً تجعل القدس تابعة لايالة صيدا وطوراً تجعل المتصرفية مرتبطة رأساً بالباب العالى وكان كثيرون من أصحاب الدعاوى التى لا تحل حلاً موافقاً يستأنفونها إلى بيروت التى صارت مركزاً لايالة صيدا بعد سنة ١٨٦٠ ميلادية أقام الباب العالى والياً فى دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سورية التى مركزها الشام فأنها كانت لواءً كلواءً بيروت ولهُ متصرف وبعد سنة ١٨٧٠ ميلادية تعلقت رأساً بالباب العالى .

وسنة ١٨٧٣ ميلادية صدر أمر من الباب العالى بإرسال كيرللس بطريرك الروم الأرثوذكس من القدس إلى الأستانة العلية تحت الحفظ وسبب ذلك هوانهُ عندما دعى إلى الأستانة للمباحثة مع البطريرك المسكونى

القسطنطيني والبطريرك الإسكندرى والبطريرك الأنطاكى بشأن البلغار الذين كـــانوا قد وقعوا تحت حرم البطريك المسكونى تمنع عن تقرير انشقاقهم عن الكنيســـة الأرثوذكســـية كبقية البطاركة وبعد أن رجع إلى مقر كرسيهِ بمدة صـــدر ذلك الأمر بفصلهِ عن وظيفته وإرساله إلى الأستانة تحت الحفظ فتوجه إليها وسكن جزيرة كرنكبو ولا يزال منفصلاً إلى الآن. وبعد ذهابه من القدس أقـــام المجمع الأورشليمى بالنيابة عنهُ نيافة بروكوبيوس مطران غزة وفى أثناءِ ذلك حدثت أختلافات كثيرة بين خدمة الدين والأهالى من الروم الذين كان أكـــثرهم مـــتحزبين للبطريرك السابق . ثم أقامهُ ذلك المجمع بطريركاً أصيلاً وصدر أمر الباب العالى بتثبيتهِ ولا يزال غبطتهُ متقلداً منصب البطريركية إلى الآن .

ومـــن لحو ثلاث سنين أجتهدت السيدة كانتز الانكليزية بجلب ماءِ برك سليمان إلى هذه المدينة ولم تفز بالمرغوب فجددت الطلب فى هذه السنة ووجهـــت طلـــبها إلى الباب العالى رأساً فأجاب بقبول ذلك وارسل الأوامر اللازمة بهذا الشأن إلى متصرف القدس وقد تخمنت المصاريف فبلغت لحو ٣٥ الـــف لـــيرا استرلينية وقد تعدلت المصاريف السنوية فبلت ستين ألف غرش تكفـــلت طوائف المدينة بتقديمها ، فدير الروم يدفع ١٠ آلاف ودير اللاتين ٣٥٠٠ ودير الأرمن ٣٥٠٠ والحمامات عشرين الف غرش والباقى تدفعه الجوامع والطائفة الإسرائيلية وقد تقرر ذلك وقد قيل أنهُ سيصير الشروع فى جلبها فى الربيع القادم .

الفصـــــل الحادى والعشرون

وصف حالة أورشليم الحاضرة

فهـــذا تـــاريخ أورشليم المدينة العظيمة التى كانت مطمحاً لنظر ملوك الدنيـــا ومولـــداً ومدفناً لأنبياءَ كثيرين ومهلكاً لألوف آلوف من العساكر الآشـــوريةّ والبابليَّة والمصريَّة واليونانيَّة والرومانيَّة والتتريَّة والعربيَّة والإفرنجيَّة بأجناسها المختلفة فكم قهرت ممالك وكم من ممالك قد قهرتها . وإذ قد انتهينا من تاريخها لنجعل الختام وصف حالتها الحاضرة فنقول :

أن عدد سكان هذه المدينة الآن هو نحو ٣٥ ألف نفس وفيها كثيرٌ من الأبـــنية العظيمة اشهرها بناءً أن إحداهما جـــــامع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الحرم الشريف بنى حيث كان هيكل سليمان فى جبل المرّيا وداخلهُ الصخرة التى يقال إن إبراهيم الخليل أب الأباءِ أتى بابنهِ إسحق ليقدمهُ ذبـــيحةً لله عليها والثانى كنيسة القيامة أسستها الملكة هيلانة وداخلها أماكن كـــثيرة متسعة لكثير من طوائف النصارى فكنيسة نصف الدنيا مختصة بطائفة الـــروم أمـــا القبر المقدس فهو للجميع بالاشتراك وحيث جلد المسيح مختص باللاتين فقط والجلجلة للروم واللاتين وغير أماكن لغيرهم واشهر أبنية المدينة الحديـــثة فى خارج البناية المسكوبية وهى كنسية ودير للرهبان الروسيين وهى عظيمة البناءَ من أجمل الأماكن الحديثة فى القدس ولها أرض متسعة محاطة بسور

من كل الجهات موقعها فى غربى المدينة وبقربها بركة مَاملّهْ المعروفة فى التوارة ببركة النبى حزقيا العليا ويوجد أيضاً مدرسة للشماسات البروسيانيات للبنات وأسمهــا (طاليثا قومى) ومدرسة أخرى للصبيان وتعرف بمدرسة أيتام سورية ومستشفى داخل المدينة وهذا أيضاً للبروسانيين الأنجيليين.

وفيها أيضاً : كنيسة متقنة البناءِ للأنكليز الأسقفيين وأسقفها المطران صـــموئيل كوبـــت و ـ لهُ أيضاً مدرسة للصبيان فى جبل صهيون وعن قريب ســـينتهى بناءَ كنيسة للأنجيليين بمساعدة القس أوغسطوس كلين وهذه على نسق الأولى إلاّ أنها أصغر قليلاً منها .

وفى جـــنوبى المديـــنة جـــبل صهيون وفيهِ كنيسة حبس المسيح وهذه الكنيسة بيد الأرمن وفيها محلات متسعة لقبول الزائرين وفيها مقام داود النبى عـــليه السلام والمغارة التى دفن فيها وفى هذه الجهة مقابر لطوائف النصارى وعـــلى الجهة الجنوبية من ذلك بركة السلطان المعروفة بالتوارة ببركة حزقيا السفلى ووادى ابن هنوم ودير أبي طور وحقل الفخارى وهناك قناة الماءِ التى توصِلّ ماءَ برك سليمان إلى الحرم الشريف .

وفى شرقى المدينة باب ستى مريم وبركة حجى ملاصقة بهِ وبالقرب من ذلـــك تلة صغيرة من حجارة يقال أنهُ هناك رجم استفانوس وعن بعد بعض خطوات كنيسة ستى مريم وبستان الجسمانية ووادى قدرون وطنطور فرعون

المعـــروف بالــتوارة (نصب ابشالوم) وبالقرب منهُ قبور اليهود وقرية سلوام وبركة سلوام وبئر أيوب .

وفى المديـــنة مطبعة للروم وهى المعروفة بمطبعة القبر المقدس ومدرسة المصـــلبة للطائفة المذكورة وهذه خارج المدينة وهى مدرسة عالية يعلمون فيها عـــلوماً كـــثيرة مع عدة لغات وداخل المدينة مطبعة عظيمة للأرمن اليعقوبيين وكنيســـة ومدرســـة مـــار يعقوب أيضاً لتلك الطائفة . ومدرستان الواحدة للصـــبيان والأخـــرى للبنات اللاتين ومدارس وأماكن أخر عديدة لا حاجة لذكرها .

الخاتمـــــــــة

بيان أسماء أورشليم وبعض ملوكها وحكامها والدول التى تولت عليها

تسمت : —

اولاً : ســـــاليم .

ثانياً : يبـــــوس .

ثالثاً : أورشـــليم .

رابعاً : إيليـــــا .

خامساً : بيت المقدس .

سادساً : القدس الشريف .

وقد خضعت هذه المدينة لدول كثيرة كما ترى :

اولاً : ملكيصادق

ثانياً : اليبوسيين

ثالثاً : الإسرائيليين

رابعاً : ملوك يهوذا

خامساً : ملوك آشور

سادساً : ملوك بابل

سابعاً : فراعنة مصر

ثامناً : ملوك اليونان

تاسعاً	:	ملوك المكابيين
عاشراً	:	ملوك الرومان
حادى عشر	:	أكاسرة العجم
ثانى عشر	:	الخلفاءَ الأمويين
ثالث عشر	:	الخلفاء العباسيين
رابع عشر	:	الدولة الفاطمية
خامس عشر	:	الدولة السلجوقية
سادس عشر	:	الصليبيين
سابع عشر	:	الأيوبيين
ثامن عشر	:	التـــــتر
تاسع عشر	:	الدولة العثمانية

ومايأتى أسماء بعض الملوك الذين ملكوا فيها وبعض حكامها والدول التى تولتها : —

مليكصادق

أدونى صادق في عصر يشوع من ملوك الأمم

ملوك إسرائيـــــل

داود النبى

سليمان الحكيم

ملوك يهـــــوذا

رحبعام بن سليمان

ابيام بن رحبعام

آسا بن ابيام

يهو شافاط بن آسا

ياهو بن يهو شافاط

يهوا حازين بن يهورام

عثيليا أم اخزيا

امصيا بن يواش

عزيا بن امصيا

يوثام بن عزريا

احاز بن يوثام

حزقيا بن احاز — وفى أيامهِ خضعت أورشليم لملوك آشور.

منسى بن حزقيا

آمون بن منسى

يوشيا بن أمون

يهوا حاز بن يوشيا

يهو ياقيم بن يوشيا — وفى أيامهِ خضعت أورشليم لملوك بابل.

صدقيا بن يوشيا

زر بابل بن شالتيئيل

عزرا الكاهن

نحميا بن حكليا

بعد نحميا كان الأحبار يتولون الكهنوت والأحكام معاً إلى أن خضعت لإسكندر المكدونى وبذلك الوقت خضعت لدولة اليونان.

بطليموس لاجوس	دولة البطالسة
أنتغونوس أحد قواد إسكندر	من ملوك اليونان
ديمتريوس بن انتيغونوس	
بطليموس لا جوس	دولة البطالسة

سلوقس الغالب أول الدولة السلوقية

أنتوخوس سوتير

أنتيوخوس ثيوس

سلوخس ثيوس

يلوخس كيروتوس

أنتيوخوس الكبير

سلوخس فيلوباتر

أنتيوخوس ابيفانوس

رؤساء يهوذا المكابيون وقد خضعوا أحياناً لليونان

متاثيا

يهوذا ابنهُ

يوناثان أخو يهوذا

سمعان أخو يهوذا أيضاً

هركانوس الأول ابن شمعان

ملوك المكابين وقد خضعوا أحياناً لليونان وللرومان

أرسطوبولوس

إسكندر جانيوس أخو ارسطو بولوس

الكسندرة امرأتهُ

هركانوس الثانى ابن جانيوس

أريسطوبولوس الثانى ابن جانيوس

هركانوس الثانى أيضاً

أنتغونوس بن أريسطوبولوس الثانى

ملوك وولاة من قبل الرومانيين

هيرودس الكبير الأدومى

أرخلاوس ابنهُ

بوبليوس وهو رومانى

ولاة آخرون رومانيون

بيلاطس البنطى وهو رومانى

اغريباس وهو ابن هيرودس

فاروس وهو رومانى

طيباريوس

كومانوس وهو رومانى

فيلكس وهو رومانى
فستوس وهو رومانى

ملوك رومانيـــــون

تيطس بن وسيبسيانس	
الإمبراطور ادريانوس	
الإمبراطور قسطنطين	
الإمبراطور يوليـــــان	
جوستنيان الأول	
كسرى الثانى	ملك العجم
الإمبراطور هرقل	رومانى
يزيد بن ابى سفيان	من الخلفاء الأمويين
خلفاء بنى العباس	
بنو طولون	من قبل بنى العباس
الدولة الفاطمية	
الدولة السلجوقية	

وفى أيام هذه الدولة أخذ الصليبيون المدينة وما يأتى أسماء ملوكهم : -
كودافروا دوبولون
بودوين الأول
بودوين الثانى

فولكس دوالجة

بدوين الثالث

أمورى

بودوين الرابع

بودوين الخامس

غوى دولوزنيانا

سيسبلاً الملكة

كادى لاسكنان

هنرى الثانى

أمورى (من لاسكنان)

يوحنا بريان

الإمبراطور فريدريكس الثانى

الأيوبيين سلاطين مصـــــر

السلجوقيون أيضاً

الدولة العلية العثمانيـــــــة

السلطان سليم الأول

السلطان الأعظم والخاقان الأفخم السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان المليك الحالى.

أما متصرفية القدس الآن فهى بيد صاحب السعادة كامل باشا متصرف بيروت سابقاً

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

رقـم الإيـداع	٢٩٠٧ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي	977 - 341 - 020 - X